15 em Année No. 749

Lundi — 10 — 11 — 1947

# الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــــدد ٧٤٩ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٧ ذى الحجة سنة ١٣٦٦ — ١٠ نوفمبر سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

## حرية الرأى وتبعة الرأى

للأستـــــاذ عباس محمود العقاد

حرية الرأى مكفولة لكل انسان .

ولكن لاحرية بغير تبعة . فكل ذى رأى مسئول وحده عن رأيه ، وعليه وحده أن يحمل جميع تبعاته ، وليس له أن يلقى هذه التبعات على غيره . لأن حريته تنتهى عند انتهاء التبعة التى يحملها باختياره ... فلا اختيار له فى حريات الآخرين .

وذلك هو الحد الفاصل بين الرأى الذى يسأل عنه الباحث أو الكاتب وحده ، وبين الرأى الذى يشرك فيه غيره .

فمن حقه بلا نزاع أن يبدى ما يشاء فى حدود القانون

ولكن ليس من حقه أن يحمل غيره على تزكيـة رأيه وترويجه أو الاذن بأجازته ونشره ، ولا سيما إذ يكون ذلك « الغير » هيئة رسمية مفروضة بقوة الدولة على جميع أبناء الأمة، كالجامعة المصرية وما جرى مجراها .

فالجامعة المصرية جامعة حكومة ، ومعنى أنها جامعة حكومة أن الزامها لطلابها هو إلزام يقوم به القانون ، وتحميه الدولة ، وليس فيه للطالب أو لولى أمره خيار كالذى يملكه الطلاب وأولياء الأمور فى الجامعات الأهلية . فهم لا يملكون أن ينتقلوا منها إلى غيرها إذا لم توافقهم دروسها ، وليس فى وسعهم أن يستغنوا عن شهاداتها وإجازاتها ، لأن مستقبلهم فى الوظائف أو المزاولات العلمية مرتبط بها . فليس لأحد أن يطلب من هذه الجامعة أن تجيز دروساً تحتاج إلى احتمال تبعة ، وليس له أن يلقى عليها تبعاته وينتظر منها أن تقرها وتزكيها ، وهو يزعم أنه حر فيما يصنع ، وأنها هى المقيدة أمامه فلا حرية لها فى رفض هذا الصنيع

من شاء أن يقدر حريته فليقدر تبعته قبل تقديره لحريته .

ومن تقدير التبعة أن يفهم ما يجوز له عرضه للاقرار والإجازة ، وما ينفرد به أو يشرك فيه سواه . فإن لم يفهم ذلك فليس هو بأهل لتقدير الحريات ولا لتقدير التبعات .

وقد سبقتنا إلى النظام الجامعى أمم كثيرة ، وسبقتنا إلى حرية الرأى أمم كثيرة ، وترجع تقاليد الجامعات فى بعض هذه الأمم إلى مئات السنين ، وكلها تدين بهذا المبدأ فيما يعرض عليها من الرسائل للاجازة والاقرار ، ولم يقل أحد أنها تصادر حرية الآراء ، أو تحجر على مباحث المفكرين .

فلم نسمع قط أن أحداً تقدم إلى جامعة اكسفورد مثلا ببحث فى ميلاد السيد المسيح هل كان مولداً طبيعياً أو كان مولد خارقة وإعجاز .

ولم نسمع قط أن أحداً تقدم إلى جامعة السوربون ببحث فى تدوين الأناجيل هل هى من كتابة الرسل أو كتابة أناس آخرين مجهولين أو معلومين .

والجامعات الإنجليزية تدرس تواريخ الأديان وتدرس المقابلة بينها، فلم نسمع قط أن دراستها هذه أجازت لصاحب رأى أن يطلب

منها اقرار قول من الأقوال ، يخالف ما تلتزمه أمام جميع المتعلمين

كذلك تدرس الجامعات الإنجليزية ، كما تدرس الجامعات الفرنسية ، علوماً شتى فى نظم الدول ، وقواعد الدساتير. فلم نسمع قط أن طالباً فرنسياً عرض على جامعة فرنسية بحثاً فى إنكار النظام الجمهورى . وتفضيل النظام الملكى عليه ، ولا أن طالباً إنجليزياً عرض على جامعة إنجليزية بحثاً فى ترجيح النظام الجمهورى على نظام الدولة الملكية . لأن المسألة ليست مسألة حرية وكفى ، بل هى مسألة حرية مقرونة بتبعة . فينبغي التفرقة بين ما تكتبه باسمك على تبعة نفسك ، وبين ما تكتبه ثم تلقى بتبعاته كلها أو بعضها ، على مؤسسات تحميها الدولة وتلقى دروسها على جميع أبناء الأمة ، وهم أحرار أيضاً فيما يقبلون وفيما يرفضون .

***

فلا خلاف على حرية الرأى كائنا ما كان فى حدود القانون وإنما الخلاف فى احتمال التبعة وتقديرها ، وفى موضع التبعة وتمييزه ، وليس بأهل لحرية الرأى ولا بقادر على أمانته من يفوته هذا التمييز .

وكاتب هذه السطور يحرص على حرية الرأى ، ويعتقد أن الحرية الشخصية هى غاية كل تقدم وارتقاء فى تاريخ بنى الإنسان ، وأن مقاومة الرأى إنما تكون برأى مثله ، ومقابلة البرهان إنما تكون ببرهان على قياسه ، وأن المصادرة بالقوة عمل لا يليق بأصحاب الآراء ولا يحسن بهم أن يهيبوا بالحكومة إلى اتخاذه ، إلا أن يكون فى الرأى إخلال بالآداب متفق على تحريمه .

لكننا لا نعطى حرية الرأى كل هذا الحق إلا لأننا ندين بأنه حق ينتهى عند حده ولا يجوز أن يتعداه .

فليقل من شاء ما شاء ما دام هو صاحب التبعة الوحيد فى كل ما يقول :

ولكن هل هو صاحب التبعة الوحيد فيما يلقيه إلى الجامعات الرسمية لتقره باسم الدولة ، وباسم الأمة بأسرها من وراء الدولة ؟

هنا محل التقدير والتمييز

وليس بعالم ولا مستحق لأمانة العلم من لا يقدر ولا يميز ، ولا يفرق بين ما يقرره باسمه ، وما يطلب من المشرفين على التعليم فى الأمة أن يقرروه .

وقلما يعنينى هنا أمر رسالة بعينها أو بحث بعينه ، وإنما يعنينى توضيح الحد الفاصل فى مسألة الحرية ، ومسألة التبعة الفكرية ، وهو حد منسىٌّ على ما نرى فى حسبان بعض المبتدئين ، بل بعض الأدباء المدودين .

ولو لم يكن هذا الحد محتاجاً إلى التذكير فى مرحلتنا هذه من الحياة الفكرية لما رأينا رجلا كصديقنا الأستاذ توفيق الحكيم ينساه وهو ينقد الجامعة المصرية لأنها رفضت تبعةً تلقى عليها ، وليس من حقها أن تقبلها باسم الدولة ، وليس من مقتضى رفضها أن تحول بين طالب من الطلاب ، أو مدرس من المدرسين ، وبين إعلان ما يراه بغير واسطتها إذا شاء .

على أننا نهنىء صديقنا الحكيم ولا نقصر القول كله على الأسف لنسيانه أو تناسيه .

نهنئه لأن حرية الرأى كانت رخيصة عنده يوم كان ينعى على الديمقراطية ويشيد بمآثر الدكتاتورية . فإذا عاد يغليها بعد ارتخاص فإنه بالتهنئة من هذه الناحية لجدير .

أما « التقدميون » الذين حنقوا على الجامعة المصرية لالتزامها حدود حقها وواجبها ، فحسبهم من التذكير أن نطلب منهم سطراً واحداً يكتب فى روسيا اليوم نقداً لعقيدتهم فى التفسير المادى للتاريخ ، وهى بعد لم تتجاوز عندهم أن تكون رأى انسان ! .. فكيف بما يعتقد المؤمنون به أنه من عند الله ، خالق كل انسان ، وخالق جميع الأكوان ؟

**عباس محمود العقاد**

# ١٢ ـ رحلة إلى الهند

للدكتور عبد الوهاب عزام بك
عميد كلية الآداب

## نظام الدين أوليا وأمير خسرو

وإلى القرب من المقبرة التي بها ضريح همايون مقبرة أخرى بها قباب منثورة أعظمها مكانة عند الناس وأجملها هندسة قبة نظام الدين أوليا .

وهو أعظم صوفية الهند فى زمانه ، وأكبر أوليائها حرمة عند الناس حتى اليوم ؛ اسمه محمد بن أحمد بن على البخارى ، وفدَ أجداده من بخارى إلى الهند فاستقروا فى إقليم بدَايون حيث ولد هو سنة ٦٣٦ هـ .

وأخذ العلوم العربية عن علاء الدين الأصولى . ثم رحل إلى دهلى فتلمذ للشيخ شمس الملك والشيخ كمال الدين الزاهد .

وسنة ٦٥٥ لحق بالشيخ الصوفى فريد الدين كَنج شَكَر ( كنز السكر ) المتوفى سنة ٦٦٤ هـ فصار من مريديه المقرّبين واختاره الشيخ خليفة له سنة٦٥٦ فرجع نظام الدين إلى دهلى إلى أن توفى سنة ٧٢٥ هـ .

وقد ذاع صيته ، وعظمت مكانته ؛ فجاءه المريدون من كل صوب ، واجتمع حوله العلماء والأدباء والموسيقيون ، وعظمه المسلمون وغير المسلمين .

وكتب فى التصوف والتفسير والحديث ونظم بالفارسية شعراً صوفياً ، ومزاره اليوم يُقصد من أرجاء الهند ، ويعدّه الناس أعظم الأولياء أو من أعظمهم ويسمونه : سلطان الأولياء .

قصدنا إلى مزار نظام الدين فَنزلنا فى محلة تزدحم فيها القبور والمنازل ، ومررنا خلال قبور تختلف مظاهرها ضخامة وصغراً ، وأبهة وحقارة ومعرفة ونكراً وتتفق على المعنى الذى انطوت عليه ؛ بل اللفظ الذى تنطق به ؛ حتى جئنا حجرة عالية مصنّمة بالرخام والحديد والنحاس سقفها مستطيل مبطّن بالصوف فى أشكال جميلة ، والحجرة فى جلتها هندسة جميلة أو شعر بليغ . هنا قبر الشاعر الكبير المعروف فى الأدب الفارسى والأدب الأردى ؛ الذى يعدّ أول ناظم باللغة الأردية ، وهو أمير خسرو الدهلوى المتوفى سنة ٧٢٥ هـ .

وكان مرورى بقبر الأمير خسرو سروراً مفاجئاً ، ونعمة غير مرتقبة . فوقفت على قبره وقفة تمنيت أنها طالت وكُرّرت .

أقف بالقارئ وقفة قصيرة على تاريخ هذا الرجل الكبير قبل أن نزور نظام الدين أوليا :

هو الأمير أبو الحسن بن الأمير سيف الدين الشمسى ولد فى الهند سنة ٦٥١ هـ وكان أبوه تركياً هاجر من نواحى بلخ إلى الهند أيام جنكيزخان وتزوج بنت عماد الملك أحد أعيان الدولة فى دهلى ، ومات وابنه خسرو فى التاسعة من عمره فكفله جدّه لأمه .

وكان خسرو ذكياً شغوفاً بالتعلم . فنشأ محبوباً مقرّباً عند سلاطين دهلى ، وحظى برعاية سبعة سلاطين متتابعين ؛ من السلطان محمد بن غياث الدين ( ٦٦٤ هـ — ٦٨٦ ) إلى السلطان محمد الثانى بن تغلَق ( ٧٢٥ — ٧٥٢ هـ ) .

ونبغ فى الشعر فنظم منظومات كثيرة منها ديوانه وسبع منظومات قصصية حاكى فيها الشاعر المعروف نظامى الكنجوىّ منها قصة ليلى والمجنون ، وقصة خسرو وشيرين .

وقد قسّم ديوانه على سنى عمره ، وسمى كل قسم اسماً يلائمه :

تحفة الصغر : وهى القصائد التى نظمها من سن ١٥ إلى ١٩

وسط الحياة : وهى القصائد التى نظمها من سن ٢٠ إلى ٣٤

غرّة الكمال : وهى القصائد التى نظمها من سن ٣٤ إلى ٤١

البقيّة النقيّة : وهى مختارات من شعر الشيخوخة .

وقد ألّف من الكتب والرسائل ما يقارب المائة ، ويقال إن أشعاره تبلغ أربعمائة ألف بيت ، والمجموع منها زهاء مائة وعشرين ألفاً جمعها السلطان الأديب بالسُنقُر من بنى تيمور ، وكان من المعجبين بالشاعر ، وقد فضّل منظوماته الخمس على « خمسة نظامى » ، وجرت بينه وبين الأمير التيمورى أُلغ بك مناظرات كثيرة فى هذا التفضيل .

وكان خسرو من مريدى الشيخ نظام الدين يبالغ فى حبّه وإعظامه ، ويروى أنه بينا كان خسرو فى صحبة السلطان غياث الدين تغلَق شاه فى سفره إلى بنغالة جاء نعى شيخه فأسرع

راجعاً إلى دهلي ، واعتزل خدمة السلطان ، وتصدّق بأمواله ، وأقام على مقربة من قبر شيخه حتى مات بعد ستة أشهر ، ودفن بجوار الشيخ الذى أحبه وصحبه فى حياته ، وزهد فى العيش بعد مماته . فكان فى تجاور القبرين لمن يعرف سيرة الرجلين قصيدة صوفية بليغة .

وزرنا ضريح نظام الدين وهو حجرة واحدة حولها سياج من الرخام الأبيض المخرّم فى دقة وإتقان وعليها قبة جميلة ، وعلى جدران الحجرة وعلى المقصورة من بدائع الصنع ، والتحلية مايشغل بصر الزائر حتى فى هذا المقام الجليل المهيب ، ورأينا هناك حلية مهداة من نظام حيدر أباد .

ورأينا أبياتاً فارسية أرّخ فيها موت الشيخ بكلمة « شهنشاه دين » = ٧٢٥

وكذلك قرأت عند قبر أمير خسرو أبياتاً فيها تاريخ وفاته بكلمات فارسية ( طوطي شكر مقال ) ، وكلمتين عربيتين ( عديم المثل ) وكلتا العبارتين يدلان على سنة ٧٢٥ هـ .

ورأينا على مقربة من هذه الحجرة قبة كبيرة على قاعة واسعة يقال إن السلطان علاء الدين بناها ليدفن فيها الشيخ فأبى الشيخ أن يكون فيها قبره ، واتخذها مسجداً .

***

وفى جوار الشيخ قبور لأمراء الدولة التيمورية وأميراتها ، عائذات بهذا الجوار الكريم . كل قبر حوله سياج من الرخام أظهرت فيه الصنعة قدرتها وإبداعها كأنما هذا الحجر كان شمعاً فى يد الصانع أو عجيناً .

وشدّ ما أثر فى نفسى بين هذه القبور قبر جهان آرا ( زينة الدنيا ) بنت السلطان شاه جهان ، وقد بلغ منى بيت بالفارسية منقوش على لوح من الرخام هناك :

بغير سبزه نبو شد كسى مزارمرا
كه قبر پوس غريبان همين گياه بس است

لايكس أحد قبراً بغير خضرة النبات العشب
فكسوة قبور الغرباء هذا العشب وكفى

وبعد هذا البيت باللغة العربية :

الفقيرة الفانية جهان آرا مريدة خواجكان ( أى الشيخ نظام الدين) بنت شاه جهان بادشاه غازى أنار الله برهانه سنة ١٠٩٢

وما فصلنا من هذا العالم عالم الأخرى ، وفى النفس ملؤها من ذكريات الدنيا أوينا إلى قاعة فاسترحنا وشربنا الشاى فى ضيافة الشيخ حسن نظامى من ذرية الشيخ .

وقرأت على الجدار أشعاراً صوفية بالفارسية من مأثورات نظام الدين أوليا .

( للكلام صلة ) **عبد الوهاب عزام**

# أسئلة !

للأستاذ علي الطنطاوي

كان حديثَ الناس في الأسبوع الذي مضى ، وحديثَ الصحف . هذه ال(أربعون الف جنيه) التي تبرع بها البدراوي باشا وشهد عليه بها الشهود ، وجاءته عليها رسائل الشكر وبرقيات التهاني ، حتى إذا شبع من الثناء ، وروى من المدح ، وانتشى من الفخر ، ونال ما كان يريده من تبرعه ، ولم يبق وراءه غنم يناله ، ما بقي إلا الغرم بال( أربعين الف جنيه ) عاد فجحد قوله ، وأنكر هبتـه ، وطمن على الشهود ، وكذب الناقلين ، فعاد الهنئون له يعزونه ، والمادحون إياه يهجونه ، وانطلقت الألسنة بالوقيعة فيه ، والنيل منه ، وأذهب هذا القدح لذة المدح الأول ، واشتاق إليه لما فقده ، ولكن عزّ عليه أن يشتريه بـ (أربعين الف جنيه) ، وأن يؤديها كاملة فيكذب نفسه ، ويثبت قول من شهد عليه ، فافتداها بعشرة آلاف رفعها إلى السدة الملكية ، فردتها عليه ، ولم تقبلها منه . وقالوا ، إنه سيدعى الشعب إلى اكتتاب عام يشترك فيه الغني والفقير ، يحقق به ما كان التبرع له ، وهو انشاء معمل للّقاح ، يقي الناس من هذا الوباء الذي يحصد بمنجله النفوس ، ويقطع الأعناق ، ويودي بالأسر .

***

انتهيت من قراءة هذا الخبر ، فنشأت في نفسي أسئلة كثيرة ، أحببت إذاعتها لأني أتمنى أن أجد مجيباً عليها :

أولها : السؤال عن هذا التفاوت العجيب بين الناس الذي صار شعار الحياة المصرية ، وآيتها ... من أين جاء ؟ وكيف تركه العلماء والمصلحون وأصحاب الرأي ، وذوو السلطان ، ينمو ويمتد حتى يصير كالدوحة العظيمة ، ولم يقطعوه وهو بعد غصن طري؟

وكيف انتهت الحال إلى أن يكون في مصر نفر من المصريين والأجانب اجتمعت في أيديهم الملايين ، وملايين من المصريين دون الأجانب فرغت أيديهم من كل شيء .

وكيف امتد هذا التفاوت إلى غير المال ؟ فكان في مصر نفر هم أكابر أدباء العربية ، ونفر هم أئمة علماء الإسلام ، ونفر هم أعلام الفلسفة والحقوق وعلوم الطبيعة ، وجماهير لا تحصى ، ( إلا في دفاتر الإحصاء عند الحكومة ) ، لا تعرف من العربية ولا من الإسلام ولا من هذه العلوم شيئاً ، بل هي لا تعرف القراءة ولا الكتابة ، وصارت مصر بحيث لو ذهب منها مثنا رجل فقط ، من عشرين مليوناً ، صارت زعامة مصر الثقافية ، بين الأقطار العربية ، خبراً بعد عين .

وكان في مصر ، بل في القاهرة نفسها العمارة التي تشتمل على خمس عشرة طبقة ، والأكواخ التي لا شباك لها ولا ماء فيها ولا مراحاض ، وفيها أفخم السيارات تسير بجانب عربات الكارو ، تحمل أهل القاهرة من حي إلى حي ، وفيها شارع فؤاد وشارع سـليمان ، وفيها الزمالك وجاردن سيتي ، وفيها مقابل ذلك زين العابدين والدراسة وبولاق ، وفيها فندق شبرد ووراء حديقته أزقة مسدودة لا تراها الشمس ، ولا يمر منها الهواء ، ولا ينيرها الكهرباء ، ولا تعرف الطريق إليها مصلحة التنظيم ..

إن الناس يتفاوتون في بلدنا ، وفي بلاد الناس كلها ، ففيهم الغني والفقير ، والعالم والجاهل ، وعندنا العمارات الكبيرة ، والدور الحقيرة ، ولكن المسافة بين عالينا ونازلنا قصيرة متحملة فليس في دمشق كلها عمارة كال( ايموبليا ) ولا كنصفها ، أن أعلى عمارة فيها في ست طبقات . ولكن ليس في دمشق أيضاً ، بيوت كبيوت مصر القديمة أو عشش الترجمان ..

وعندنا فقراء ، ولكن فقراءنا لهم ثياب نظيفة تسترهم ، وأحذية تحملهم ، وبيوت تكنهم ، وعندنا مالكون للأرض ، ولكن الناس يملكونهم ، ليسوا عبيداً لهم ، ولا اجراء عندهم ، ما عندنا هذه ( الاقطاعية ... ) إلا في حماة وأمثالها ، وهي مناطق محدودة ، وسائر الأرض مقسمة بين الناس ، يملك الواحد منهم ربع الفدان فما فوقه ، ولا يرى نفسه دون مالك الآلاف ، ولا يذل له ولا يرى له عليه فضلا .

لذلك يعجب الشامي عندما يقدم مصر ، ويرى هذا التفاوت فيها ، ويسأل من أين جاء ؟

وثانيها : السؤال عن الكتاب والعلماء ، لماذا لا يدعون إلى تخليص البلد من هذا الداء العياء ، وتعديل كفتي الميزان وتحقيق طبيعة العرب في المساواة ، ومقصد الإسلام في العدالة

لا أريد المساواة المطلقة التي لا تبقى غنياً ولا فقيراً ، فهذا مالا يكون ولا ترضاه سنن الكون ، ولا طبائع الأشياء . لا يكون إلا في أذهان الفلاسفة والشعراء ، وأصحاب الأغراض من الدعاة ، يشعبذون به على الناس ، ويتخذونه سلماً إلى غاياتهم ، ووسيلة إلى أغراضهم ، ولكن أريد المساواة المعقولة ، التي لا ينزل بها انسان إلى منزلة البهيمية في طعامه وشرابه ومسكنه ، ولا يرتقي إنسان إلى منزلة الألوهية ، يدعيها كذباً وبهتاناً كما ادعاها فرعون من قبل ، وأن يكفل لكل مصري (مهما كانت مهنته ، وكان عمله) طعامه وشرابه وكسوته ومسكنه ، كما يليق بالانسان أن يأكل ويشرب ويلبس ويسكن ، وأن لا يترك في مصر رجل واحد ، يعيش كما تعيش السائمة ، يأكل قريباً من طعامها ، وينام مثل منامها ، في الطرقات ، والحقول ، وعلى الأرصفة ، وفي الأكواخ ؛ وأناس يطعمون كلابهم الشكولاته ، وينفقون أموالهم في المراقص ، ويذيبون ذهبهم في الكؤوس .

فما ذا يصنع العلماء والكتاب؟

وثالثها : السؤال ... إذا كان يجوز لمثلي السؤال ، عن الحكومة ما لها تقر هذه الحال ، أولا ، في كثير من قوانينها وأنظمتها ، فتجعل المدارس الأولية متفاوتة الدرجات ، ولا تسوق ابن الغني وابن الفقير بعصا واحدة ، وتحشرهم في مدرسة واحدة ، كما تفعل وزارة معارفنا في الشام ؛ ومالها تعنى بالمشروعات الضخمة الكمالية ، قبل اتمام الضروري ، كأن القصد تنويع الحلوى للأغنياء ، قبل تقديم الخبز للفقراء ؟ !

وما لها لا تضع ، ثانياً ، القوانين التي تؤدي إلى إبطال هذا التفاوت ، وإلى رفع المنخفض وخفض المرتفع ، حتى تقترب الدرجتان ، وتتدانى الكفتان ، فتعمل بالإسلام في أخذ الزكاة من الأغنياء ، وردها على الفقراء ، وحينئذ تأخذ هذه ال(أربعين ألف جنيه) قسراً بلا رجاء ولا شكر ، أو تعمل عمل الأمم الغربية ، فتكثر الضرائب على الدخل وعلى المواريث وتشرف على المعامل والشركات والمصارف ، ويكون لها الرأي في كل ما يمس المصلحة العامة — وهذه ( اشتراكية ) ليست من مبادىء الإسلام ، ولكنه لا يمنعها إن دعت إليها ضرورة ، والضرورات لها أحكام ، وتعريف الضرورة وأحكامها ، مبين في كتب الفقه ليس هذا موضع بيانه .

ورابعها : سؤال عقلاء مصر وقادتها ، ألا تخافون أن تأتيكم هذه الحال بالشيوعية ؟ ألا ترون بوادرها ؟ ألا تعرفون أخطارها ؟ ألا تقدرون أضرارها ؟ فلماذا تلبثون نائمين ولهيب النار يقترب من منازلكم ، فلايلبث أن يشملها عليكم ، فيجعلكم فيها كالمحبوس في الجحيم ؟

إن الناس لا يقبلون على الشيوعية عن معرفة بها ، ولا عن حب لها ، ولكن دعاتها رأوا ما هم فيه ، وعلموا أنهم يتمنون أن يجدوا الخلاص منه ولو على يد الشيطان فأوهموهم أن الشيوعية هي سبيل الخلاص ، وأنها طريق السعادة وأنهم إن كانوا دعاتها ملكوا بها قصور الأغنياء ، وحقولهم وسياراتهم ، فلذلك تعصبوا لها ولا يدرون ماذا فيها ، فهم منها كما قال عبد الله بن عمر ، لمن لامه على ترك مؤازرة ابن الزبير في دعوته إلى الإصلاح : أرأيت بغلات معاوية الشهب اللائي يحج عليهن ؟

قال : نعم. قال : ذلك ما يريد ابن الزبير !

أفهم يفسدوا منكم ومن دينكم، فأروهم أنكم معنيون بهم ، وأن دينكم لا يرضى ما هم فيه ، إن الإسلام دين العدالة ، دين المساواة ، دين الخير ، أفيرضى أن يستعبد بعض الناس بعضاً في قرن العشرين الميلادي ، وقد أنكر ذلك عمر في القرن الأول الهجري ؟

فلماذا لا تأتونهم بحق الإسلام ، لتخلصوهم به من باطل الشيوعية ؟

أما والله إذا صار هذا البلد (لاسمح الله ولن يسمح) شيوعياً فأنتم يا أيها العقلاء ، ويا قادة الرأي ، المذنبون ، لا العامة ولا الدهماء ، ولا الأغرار من الشباب !

وخامسها : سؤال المصريين جميعاً ، ألم يروا هؤلاء الأجانب ، أصحاب المتاجر والمعامل والمصارف لم تمتد يد منهم بقرش لرد هذا الوباء ، ومساعدة المنكوبين به ، ورفع البيوت التي هدمها ، وإطعام الأطفال التي يتمها ، والنساء اللائي أيمها ؟ ألم يأن لهم أن ينتبهوا إلى أنهم أحق بخيرات بلادهم ؟ لا بالنهب والسلب والثورة وأخذ المال من أصحابه ، لا ما ذلك أردت ، ولا يريد هذا عاقل ، بل بأن تطرحوا عنكم ثوب الكسل ، وتشمروا عن

ساق العمل ، وتنزلوا للميدان ؛ وتتعلموا حب المال ، والرغبة فى الأسفار ، وتتقنوا فن الاقتصاد ، وصيد الدراهم ، والتعاون على الكسب . بذلك تخلص إخوانكم الشاميون من سيطرة الأجانب، وانقذوا بلادهم منهم ، ثم ذهبوا فغزوهم فى بلادهم ، وانتزعوا أموالهم من أكفهم ، وزاحموهم ، فى مانشستر ونيويورك وبونس ايرس والكونغو وبومباى وطوكيو ، وكل بلد فى الدنيا ، ما خلت مدينة من تجار الشام .

إن بعض المراقبين يقولون مازحين : إن الشاميين يهود العرب !

يهود العرب .. طيب والله ! .. وهل نقاوم اليهود إلا بهذا ؟ بارك الله فى تجار الشام — وإن كنت ( أشهد الله ) أكرههم ، لما رأيت من طمعهم وجشع نفوسهم . وأنني أن أشد أصابعى على أغنياء الحرب منهم ، ولكن الحق أحق أن يقال ، ولا تنجح أمة إلا بأمثال هؤلاء التجار

هؤلاء الذين يشيدون مجدها ، ويثبتون بناءها ، ويحفظون مالها . فتى يكون المصريون مثل هؤلاء ؟ ومتى أجيء مصر ، فلا أرى فيها إلا لوحة عربية ، باسم عربى ، على مؤسسة عربية؟!

يا مصر ، هذا هو الطريق ! وهذا والله كلام صديق !

( القاهرة ) **على الطنطاوى**

# النظرية الحديثة
## فى تفسير الاحلام
للأستاذ عبد العزيز جادو

إن آداب كل أمة توضح بجلاء رغبة الرجل الملحة ، المستديمة ، فى تعليق بعض الأهمية على أحلامه وإلباسها بعض المعانى . فمن فجر التاريخ إلى بداية هذا القرن كانت الأحلام تعتبر فى بعض الأحيان كأصوات للالهية الباطنية ، وجولات للذات النجومية ، وزيارات للروح ، وتنبؤات بالمستقبل ، أو نتيجة اضطرابات جسمية باطنية .

وفى عام ١٩٠٠ حوّل الأستاذ سيجموند فرويد ما اعتبره خرافات وأوهاماً خاطئة فى تعليل الأحلام إلى « دراسة علمية » . فلقد وجد ، كـكل العلماء ، أن الالتجاء إلى الحدس والتخمين عمل محفوف بالمكاره .

وإن رجالاً من أمثال جوليان هكسلى ، وه . ج . ويلز ، وها فلوك إليس ، ليدفعون إثارة لفرويد . كما أن العالم أجمع يقدره حق قدره ويعده من أنبغ النابغين فى جيله .

**الأحلام وجهاه :**

لا يخفى أن لـكل قطعة من العملة وجهين ، لا نرى منهما إذا وضعت القطعة على نضد إلا الجانب الفوق . كذلك لـكل حلم وجهان ؛ فالحلم الذى نعيه عند الاستيقاظ هو الرأس أو الوجه ، ويعرف فى الاصطلاح الفنى بالمحتوى الظاهر ؛ أما الحلم الحقيقى ، الذى لا يفسره التحليل أو يوضحه فهو « الخلفى » أو المحتوى الباطن . ومشكلة تحليل الحلم هى أن نرجع إلى الحلم الحقيقى ، أى المادة المستترة .

ولـكن لم هذه الضرورة لحلم حقيقى وحلم غير حقيقى ؟ إن حلماً كهذا الذى تذكره عند استيقاظك من النوم إن هو إلا شىء باطل ملفق ، وتمويه مطبق . وإنه لوسيلة لإخفاء القصة الحقيقية . قد تسأل : « لم هذا الإخفاء ؟ » ونحن لا يسعنا إلا أن ندلى برأينا كاشفين عن السر القناع .

إن للعقل « جزئين » كما هو معروف ؛ الواعى والباطن . الأول كتاب قانون للجماعة ، وهكذا نسميه ، لأنه يحوى جميع النواهى وكل الأوامر ، كما يحتوى على قواعد حسن السير والسلوك . وإنه بمثابة مجموع أو حاصل لمبلغ تربيتنا وتهذيبنا من عهد الطفولة وما بعدها .

أما العقل الباطن فإنه يحتوى على نواة الرغبة . ويتبع نظام حفظ الأوراق بالترتيب مع الذات الفيزيقية ، على نسق فهرس ، يشتمل على فكر وتصورات فى غاية الهمجية — تصورات تدل على الطبيعة الفجة « الخام » .

ويمكنك أن ترى بين العقلين خلافاً جوهرياً ؛ أحدهما يريد ، والآخر لا يريد . . أحدهما ذو الطبيعة الهمجية يلتقى بحاجيات الطبيعة ؛ والأخر إنسان متمدن يوفق بين طلبات المدنية .

ومن تعارض هذين العقلين تنشأ الأحلام .

**الحوار الداخلي :**

قد يتوقع المرء أن يؤثر الحوار الداخلي فى الفرد فيوقظه ، ولكن آلية الحلم جعلت هذا الجدال الداخلي محرفاً فى معناه ، ومشوهاً فى شكله ، لكى يكون النوم باقياً مستمراً ومحفوظاً .

والحلم إذ نذكره — أى فى حالة المحتوى الظاهر — إنما يستخدم غرضاً واحداً ، هو قيامه بمثابة حارس للنوم . وإنه ليلجأ إلى أنواع التزويق والخداع لكى يصادف هذا الغرض .

والمحتوى الكامن أو الباطن للحلم ، أى الحلم الحقيقى ، يخدم غاية تختلف تمام الاختلاف عما سبق . فهو يرضى رغبة عقلية داخلية ، يحرك عاطفة خاصة وتحتها لإنشاء تحول كيمى وفزيقى ، أو أصوات متعددة ذات وتيرة واحدة منسجمة أى إنها تسبب قيام غدد معينة بالإفراز وتحدث تغييرات كيمائية مختلفة ، أكثر مما لو كان الشخص قد تناول علاجاً منعشاً عند النوم . وإلى هذا يرجع السبب فى شعور المرء بالراحة عند استيقاظه .

الآن وقد كونا فكرة صحيحة بل صورة ذهنية حية لهذين العقلين المتناقضين ، نستعرضهما وكأنها غرفتان متلاصقتان ونتخيل حارساً يقف عند المدخل كديدبان ولنسمه « الرقيب » . وهذا مهمته كمهمة الرقباء أثناء الحرب سواء بسواء — يصرحون بنشر أخبار معينة ويمنعون من النشر أخرى . وهذا الرقيب هو الذى جعل للحلم وجهين بطائفة من الحيل كالرمزية ، والتحريف ، والتكاثف ، والعواطف المزيفة ، والاستبدال . وكل هذه ، بطبيعة الحال ، معلومات فنية عالية . وهى مع ذلك يمكن شرحها بسهولة .

إن المرء لفى حاجة ماسة للتعرف على كيفية عمل الرقيب ، وإنا لذلك سنمضى فى متابعة الطرائق المختلفة ، ونعرض أحلاماً رمزية بطريقة التصوير .

**الرموز :**

الرمز عبارة عن علامة تعنى شيئاً ما . فالدوائر الثلاث المتداخلة معناها التضامن أو التعاون . والبولدوج رمز للمتانة أو التشبث . كما أن الأسد رمز للشجاعة والاقدام . والثعلب رمز للمكر والدهاء . وهذا قليل من كثير لا حصر له ولا عد . وثمة شىء غريب آخر عن الرموز ، هو أنها تحرك العواطف وتستفز الشعور على الفور وبأسرع ما يمكن . يقول الشاعر أو الناثر أو الخطيب « زمجر كالأسد » . كم يكون وقع هذه الجملة فى السامع ! وكم تكون حيويتها وتأثيرها ! أليست أشد وقعاً فى النفس مما لو قال « زمجر عالياً ! » ... ومن ذا الذى لا تهزه الأريحية ولا تأخذه النخوة عند سماع النشيد القوى أو السلام الملكى ! ..

ثم أليس هناك آلاف ممن جندوا أنفسهم واستعدوا للدخول فى غمار المهالك ، واستنفاد آخر قطرة من دمائهم من أجل خفوق قطعة من قماش مصبوغة باللون الأخضر ومرسوم عليها هلال وثلاثة أنجم ؟ لا لأنها تقوم على نصرة المملكة المصرية فحسب ، ولكن لأنها رمز يحرك العواطف ويذكيها حماسة .

وعلى ذلك يمكننا أن نرى أن الرمز ليس إلا مؤثراً آلياً أو ميكانيكياً فى الأحلام لا يقدر بثمن ، لأنه يحرك العاطفة لسعادة جسمية .

أما رموز الأحلام فهى غالباً ما تكون سرية ( أو خاصة بالحالم ذاته ) ومن ثم فإنك ، أنت نفسك ، عندما تستيقظ من النوم ، ولا تفهم شيئاً من معانى ما رأيت فى حلمك .

**دراسة الأحلام :**

إن الرموز التى أسلفنا القول فيها هى فى الواقع معروفة وليس هناك من يجهلها . ولكن لرموز الأحلام ميزة الخصوصية والسرية . فمن ذا الذى يعرف تلك الرموز ؟

الخبرة فى تحليل الحلم تعرفنا بالقليل من معانى الرموز ، ولكن أفضل طريقة لدراستها هى دراسة الحالم . والطريقة المتبعة فى ذلك من السهولة بمكان ، وهى أن تستقصى ما يذكرك بالأشياء . مثال ذلك أنى حلمت بامرأة ذات أسمال بالية تقوم بعمل أشياء مختلفة ، فتساءلت عما يذكرنيه امرأة ذات ثوب خلق . وذكرت أنى منذ سنين قليلة كنت فى حفلة رقص تنكرية حيث كانت فتاة ترتدى ثوباً خلقاً ممثلة الفاقة . فكان من الواضح إذن أن الفتاة التى رأيتها فى الحلم تمثل الفاقة . بيد أنى لم أحلم بالفاقة ، لأن هذا قد لا أستسيغه فيزعجنى ويوقظنى من النوم . فيتكرم « الرقيب » مشكوراً ويرينى تلك الفتاة الجميلة ، الرشيقة ، بهيئة مرضية ، ليستدرجنى فى دروبه كيف شاء له الهوى تاركاً إياى أغط فى نوم عميق مريح

**وثالث بحلم رمزي بسيط :**

كان الحالم طفلا في الثامنة من عمره . رأى أن كلباً وقطاً يتشاجران . كان الكلب أسمر اللون ، وكان القط أحمر اللون . ورأى فجأة أن الكلب والقط قد دخل كلاهما في الآخر وتكون منهما حيوان فرد فيه شبه من القط ، وفيه شبه من الكلب ، فاستيقظ من نومه باسماً . ولما سئل عن أقرب شجار شاهده أمامه كانت النتيجة أن أمه وأباه كانا يتشاجران دائماً شجارالكلاب والقطط . وفي ذلك اليوم على الأخص كان عراكهما فظيعاً . وكانت هذه آخر معركة رآها قبل أن يرى في الحلم كلباً وقطاً يتشاجران ...

لقد كان أبوه أسمر اللون ، وكانت أمه شقراء . فمن الواضح أن الكلب كان أباه ، وكانت القطة أمه . ولقد كان انزعاجه من رؤية حيوانين يتشاجران لا يقاس بجانب انزعاجه من عراك والديه . إنه يريد أن يقف عراكهما عند حد ، وأن يتصافيا ، لأنه تصورهما وقد امتزجا معاً وصارا وحدة . وإن هذا ليسره فيستيقظ باسماً . وهكذا نرى أن تفسير الحلم بسيط غاية البساطة . ولكني أرجو أن تدرك تماماً أيها القارىء العزيز أن الحلم لا يوضح ولا يشير إلى ما سوف يفعله أناسه أو ما قد يفعلونه ، ولكنه يبين ما يفكر الطفل فيه . بيد أن هناك ما هو جدير بكل اعتبار ألا وهو أنه ما من حلم إلا ويبين اتجاه الحالم نفسه لا اتجاه أحد غيره . وعلى كل من اشتغل بدراسة الأحلام أن يذكر أن هذه النقطة من الأهمية بمكان .

وبما أنه لا يوجد للآن أي حلم يبين بوضوح لأي شخص تركيباً آليا ، بل تراكيب من مختلف الأساليب ، فإننا نخطو إلى أحلام أكثر تعقيداً . وقبل أن نقدم على هذا ، علينا أن نتعرف السبب الذي يجعل الأحلام معقدة أو فيها شيء من التعقيد . ذلك لأنها ذات تحريم جنسي .

**التحريمات الجنسية :**

لقد هاجم رجال الدين فرويد بسبب اعتماده على الجنس . فرد عليهم مازحاً ، ولكنه أظهر الناس على بعض الحقائق السافرة وأظهر بالتحليل تسلط الجنس على النفس الداخلية ، وأزال كثيراً من أوهام المتصوفين .

على أن فرويد لم يقل أن كل الأحلام جنسية ، أو إنها يجب أن تكون جنسية ، وكل ما في الأمر أنه دون في بيانات صحيحة أن السواد الأعظم ذو طبيعة جنسية . وقبلما نحاول تحريم أو نبذ هذه النظرية التي تحاول الكشف عن الطبيعة الجنسية في الناس يستحسن أن نرفع النقاب عن المعلومات الجنسية . ولنكن صرحاء للغاية القصوى بدل أن نخفي أنفسنا على طريقة النعامة ، إذ نضع رؤوسنا في رمال الزمن المرتحل .

إن البيولوجيا تبين بوضوح وجلاء أن هدف الحياة ما هو إلا حفظ الحياة والتكاثر فيها . فبدون النشاط الجنسي ، وبدون الحافز للحياة ، يموت كل شيء ، ولا يبقى شيء .

وإذا كان هذا هو أهم شيء في العالم ، وهو بالفعل كذلك ، فلم ندعي أنه يقوم بدور بسيط تافه لا يعتد به في ذواتنا الفيزيقية ؟

إن الحقائق الجنسية أصعب من أن تواجه في حالة طبيعية . فهي اختبار قاس . ولا داعي لبيان أهمية الجنس ولا للتعريف بأنه أعظم شيء في الحياة ، إذ أن كثيراً من العقول المفكرة قد أقامت البرهان القاطع على أنها نواة كل سلوك .

عبد العزيز جادو

# حول جدل فى الجامعة

للأســــتاذ عبد الفتاح بدوى

— ٢ —

منذ نشرت مجلة « الرسالة » تقرير الأستاذ أحمد أمين بك عن [ الفن القصصى فى القرآن ] ، والأستاذ محمد خلف الله يبعث بالمقال تلو المقال تارة يستجدى وتارة يستعدى ؛ وليس العلم تناصراً ولا استصراخاً فليعلم أن الناس جميعاً علماءهم وفنانيهم لن يغنوا عنه من الحق شيئاً ولا من وقع الحجة وأصابتها مقتله فتيلا وليست شتائمه أساتذته أو غير أساتذته ولا خوضه فى مقاماتهم بالكلام الخبيث ما نعته من صولة البرهان .

ولقد وجهنا إليه فى مقالنا السابق تهمة أولى أنه يجهل المقررات المنطقية التى تجمع عليها العقول ؛ فهل هو مجيب عن هذه التهمة ؟

ووجهنا إليه فى مقالنا السابق تهمة الكذب على الأستاذ الإمام محمد عبده أنه يجرى فى تفسيره على اعتبار أن ما فى القرآن من قصص لا يدل على أحداث وقعت وأقمنا البرهان على كذبه هذا بما نقلنا من نص عبارة المنار .

واليوم نقول للأستاذ خلف الله أنه جهل فهم كلام الأستاذ محمد عبده فى الفقرة التى نقلها فى مقاله المنشور فى ص ١٠٦٨ من مجلة « الرسالة » الغراء ، وأنه جهل المنهج الذى يدرس عليه القرآن الكريم .

يدرس القرآن الكريم على منهجين : الأول منهج [الباطنية] وهم فرقة من الملاحدة يعطلون ألفاظ القرآن عن مدلولاتها ، ويسلكون بها سبيلا تخيلية وهمية توصلا بذلك إلى تعطيل الشريعة الغراء فهم يدعون للألفاظ أو للجمل مراداً عاماً لا ينبنى على أسس علمية وهؤلاء كفار والجرى على طريقتهم كفر وجهالة .

لأن مذهبهم هذا مجرد دعاوى لا تنبنى على شىء من العلم . فهم يقولون مثلا فى تفسير قوله تعالى : [ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين ] استقيموا لله وطهروا أنفسكم بالأخلاق الحسنة وكونوا خاضعين ، وليست هناك صلاة شرعية ولا زكاة شرعية ولا سجود ولا ركوع .

والمنهج الثانى : فى دراسة القرآن الكريم منهج المسلمين ، وهو منهج العلم والعقل الذى تقوم عليه نواحى الحياة كلها وليس خاصاً بالقرآن الكريم وحده ؛ ذلك أن الكلام يجب أن يكون لألفاظه مدلولات حقيقية تنصرف إليها تلك الألفاظ ولا يعدل عنها إلا إذا وجدت قرينة تمنع من إرادة تلك المدلولات الحقيقية فأما ترك تلك المدلولات الحقيقية مع عدم وجود تلك القرينة التى تمنع من إرادة الحقيقة فإنما هو فى غير القرآن خبل وجهالة وإذا ادعى شىء من ذلك فى مقام القرآن الكريم فهو خبل وجهالة وزندقة يخرج بها صاحبها عن عداد المسلمين لأنها تعطيل لكلام الله تعالى الذى أنزل لهداية البشر أجمعين .

ومن المسلمين من يقف فى تفسير القرآن الكريم عند هذا الحد لا يتعداه ؛ بل يحمل الكلام على الحقيقة ما أمكن ذلك ثم على المجاز الذى تدل عليه القرينة عند وجودها ، ولا يقولون إن القرآن يشير من وراء هذه الحقيقة أو هذا المجاز إلى شىء من باب الإشارة والإيماء لأن هذه الإشارة وهذا الإيماء لا تدل الألفاظ عليه .

ويقول الصوفيون من المسلمين إن فى القرآن إشارات وإيماء من وراء تلك الدلائل الحقيقية ، وهذه الدلائل الإشارية الإيمائية ملحوظة عند هؤلاء الصوفيين مرعية لديهم حق رعايتها .

فذهب الصوفية يخالف مذهب الباطنية كل المخالفة لأن الباطنية يعطلون الألفاظ عن مدلولاتها . فهم لا يعتبرون آدم شخصاً ولا الملائكة موجودات ، ولا الجنة شيئاً ، ولا إبليس حقيقة ؛ إنما يقولون فى ذلك كله ما يقول الأستاذ خلف الله إن القرآن فى ذلك لم يتشبث بالواقع ، أما الصوفية فيقولون بأن كل هذه الألفاظ لها مدلولاتها الحقيقية ثم يشير مجموع القصة إلى أمور أخر كالتى ذكرها الأستاذ الإمام فى قوله : وتقرير التمثيل فى القصة على هذا المذهب هكذا : « إن إخبار الله الملائكة بجعل الإنسان خليفة فى الأرض هو عبارة عن تهيئة الأرض وقوى هذا العالم وأرواحه إلى آخر ما قال . فمحال أن يكون الإمام قد قصد إلى تعطيل الألفاظ والذهاب مذهب الباطنية .

وإني ناقل هنا عبارة الأستاذ الألوسي إذ تشرح هذا المنهج وترى الأستاذ خلف الله أنه كان على جهل حين زعم أن من المسلمين من يرى أن القصص القرآني لا يتصل بالواقع وكان على خطأ لم يفهم به كلام الأستاذ محمد عبده؛ قال الألوسي: وأما كلام السادة الصوفية في القرآن فهو من باب الإشارات إلى دقائق تنكشف على أرباب السلوك، ويمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة، وذلك من كمال الإيمان ومحض العرفان لا أنهم اعتقدوا أن الظاهر غير مراد أصلا وإنما المراد الباطن فقط إذ ذاك اعتقاد الباطنية الملاحدة توصلوا به إلى نفي الشريعة بالكلية، وحاشا سادتنا من ذلك؛ كيف وقد حضوا على حفظ التفسير الظاهر وقالوا: لا بد منه أولا إذ لا يطمع في الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر، ومن ادعى فهم أسرار القرآن قبل أحكام التفسير الظاهر فهو كمن ادعى البلوغ إلى صدر البيت قبل أن يجاوز الباب.

والألوسي في تفسيره ينهج هذا النهج أبداً فهو يفسر الأسلوب القرآني على حقائقه اللغوية فإن قامت قرينة على غير الحقائق انصرف إلى المجاز الذي تدل عليه اللغة؛ ثم يعقب على ذلك كله بتفسير الصوفية فيقول: ومن باب الإشارة ... ويذكر الإشارات الصوفية في ذلك المقام.

والأستاذ محمد عبده نهج هذا المنهج نفسه، واختار لنفسه في المتشابه منهج السلف والأخذ برأي الخلف فيه عند الإمكان وعند الداعية إليه في فهم الكلام ثم يذكر مذهب الصوفية وهم من الخلف ويقرر مذهبهم الإشاري كذلك ويصرح في كثير من كلامه بكلمة الإشارة وبكلمة الإيماء؛ قال في ص ٢٦٩ من الجزء الأول من المنار. فإذا صح الجري على هذا التفسير فلا يستبعد أن تكون [ الإشارة ] في الآية إلى أن الله تعالى لما خلق الأرض ودبرها بما شاء من القوى الروحانية التي بها قوامها ونظامها؛ وجعل كل صنف من القوى مخصوصاً بنوع من أنواع المخلوقات لا يتعداه ولا يتعدى ما حدد له من الأثر الذي خص به خلق بعد ذلك الإنسان وأعطاه قوة يكون بها مستعداً للتصرف بجميع هذه القوى ...

وقال صاحب المنار في تلك الصفحة نفسها: « وأقول إن غرض الأستاذ من هذا التأويل الذي عبر عنه بالإيماء وبالإشارة إقناع منكري الملائكة بوجودهم. وكان مساق هذا الكلام كله بعد عبارة طويلة نقلها من كلام الغزالي في الإحياء. فهو إذن بيان لمذهب الصوفيين.

فمن الافتئات على الأستاذ محمد عبده افتئاتاً جريئاً فيه عدم الاستحياء من الحق ما قاله الأستاذ محمد خلف الله عن الإمام محمد عبده إذ ينسب إليه أنه يرى أن القصص القرآني لا يلتزم الواقع أو أنه جرى مع أحد هذا المجرى وذهب معه هذا المذهب الذي يدعيه.

ولقد حاولت أن ألتمس للأستاذ خلف الله بعض المعاذير، ولو أوهاها في التورط فيما تورط فيه فمنعني سلوكه، وحالت بيني وبين ذلك خلائقه؛ ذلك أني وجدته مدلساً في النقل خائناً للأمانة العلمية فهو يكذب في النقل أو يبتر المنقول ولا يتمه بل يخفي منه ما يبين المراد تموهاً للحقيقة وإلباساً على الناس.

لقد قال في ص ١١٢٢ من مجلة « الرسالة » الغراء: ويؤكد الرازي هذا الأمر في مناسبات أخرى حين يجعل أحياناً كلمة « بالحق » التي ترد كثيراً في القرآن بعد القصص وصفاً لما في القصة من توجيهات دينية فهو مثلا يقول عند تفسيره لقوله تعالى: « وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين » ما يأتي: ( أما الحق فهو إشارة إلى البراهين الدالة على التوحيد والعدل والنبوة ).

وإني ناقل عبارة الفخر الرازي بنصها شاهداً على تدليس الأستاذ محمد خلف الله فيما ينقل من عبارات العلماء. قال الفخر قوله تعالى: (وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين) اعلم أنه تعالى لما ذكر القصص الكثيرة في هذه السورة ذكر في هذه الآية نوعين من الفائدة أولهما تثبيت الفؤاد على أداء الرسالة وعلى الصبر واحتمال الأذى، وذلك أن الإنسان إذا ابتلى بمحنة وبلية، فإذا رأى له فيه مشاركا خف ذلك على قلبه كما يقال المصيبة إذا عمت خفت، فإذا سمع الرسول هذه القصص وعلم أن حال جميع الأنبياء صلوات الله عليهم مع أتباعهم هكذا سهل عليه تحمل الأذى من قومه وأمكنه الصبر عليه. والفائدة الثانية قوله: وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين. وفي قوله ( في هذه ) وجوه

أحدها فى هذه السورة . وثانيها فى هذه الآية . وثالثها فى هذه الدنيا ، وهذا بعيد غير لائق بهذا الموضع ، واعلم أنه لا يلزم من تخصيص هذه السورة بمجيء الحق فيها أن يكون حال سائر السور بخلاف ذلك لاحتمال أن يكون الحق المذكور فى هـذه السورة أكمل حالا مما ذكر فى سائر السور ، ولو لم يكن فيها إلا قوله تعالى فاستقم كما أمرت لـكان الأمر كما ذكرنا ، ثم إنه تعالى بين أنه جاء فى هذه السورة أمور ثلاثة : الحق والموعظة والذكرى . أما الحق ، فهـو إشارة إلى البراهين الدالة على التوحيد والعدل والنبوة ؛ وأما الذكرى فهي إشارة إلى الإرشاد إلى الأعمال الباقية الصالحة ؛ وأما الموعظة فهى إشارة إلى التنفير عن الدنيا ... اﻫ .

فالفخر الرازى ليس فيه شيء مطلقاً لا من قريب ولا من بعيد مما نسبه إليه الأستاذ محمد خلف الله فرية واختلاقاً ، فالفخر يجعل اسم الإشارة راجعاً إلى السورة ، يعنى سورة هود ، ويجعل الحق الذى فيها هوالدلائل الدالة على التوحيد ، ولعل عند الأستاذ خلف الله ، أو الذى كان يشرف معه على رسالته نسخة خطية خاصة من كتاب الفخر الرازى عملت لهما فقط وخط لهما فيها ما يشاءان ؟ ما هذا يا أستاذ ؟ وما هذه الخيانة فى العلم ؟ !

ومثال البتر فى النقل ما قاله الأستاذ خلف الله فى نفس الصفحة إذ نقل قول الفخر الرازى عند تفسير قوله تعالى ( بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله ) الأول أنهم كلما سمعوا شيئاً من القصص قالوا ليس فى هذا الـكتاب إلا أساطير الأولين ولم يعرفوا أن المقصود منها ليس هو نفس الحـكاية بل أمور أخرى مغايرة لها )

والفخر الرازى قال ذلك ولـكنه أتم كلامه فقال فى شرح تلك الأمور « فأولها بيان قدرة الله تعالى على التصرف فى هذا العالم . وثانيها أنها تدل على العبرة . . وثالثها أنه صلى الله عليه وسلم لما ذكر قصص الأولين من غير تحريف ولا تغيير مع أنه لم يتعلم ولم يتلمذ دل ذلك على أنه يوحى من الله . . الخ

فـكلام الرازى صريح فى أن القرآن لا يذكر القصة لأنه كتاب تاريخ بل يذكرها لما فى ذكرها من الفوائد التى ذكرها وكلام الفخر الرازى صريح فى أن القرآن لم يحرف فى القصص ولم يغير وكان ذلك دليلا على أنه يوحى من الله .

أما دعوى الأستاذ خلف الله فهى أن القصص القرآنى لا يتشبث بالواقع وإذن فلابد له من التدليس فى النقل ليتوهم القارىء أن للـكلام الذى يقوله الأستاذ خلف الله أصلا فى كلام السابقين

صارت الصفات التى يتمتع بها الأستاذ خلف الله فى مقاليه فى الرسالة ثلاث صفات الجهل والـكذب والخيانة .

وإذا كان للـكانون عند العرب ثـلاث أثافى فإن كانون الأستاذ خلف الله له أربع أثافى تلك الثـــلاث التى مضت وسنرميه بالرابعة .

ولقد كان يمكننا أن نرميه بها بادىء ذى بدء بعد أن حصلنا على ما حصلنا عليه ولـكننا آثرنا أن نقدم بين يدى ذلك جهله وكذبه وخيانته ، ثم نقيم عليه الحجة والدعوى معاً

لقد وقعت الرسالة فى أيدينا وقرأناها كما قرأها سوانا ولـكم الويل مما تصفون . لـكم الويل فانتظروه فى الأعداد القوادم وفى ساحات القضاء .

عبد الفتاح بدوى
كلية اللغة العربية

# الصـــــدق فى الأدب

للأســـتاذ مهدى القزاز

فى بعض الأوقات تكون قلوبنا عامرة بالعواطف ، مثقلة بالإحساسات ، تتدفق بألوان الشعور ، وتحيا بفيض من الإشراق وتنبض بمختلف الأمانى والأحلام ... تحاول الانطلاق فى أجواء فاتنة تضج بالأنغام والأضواء والشذي والعطر ، لتنغمر فى الوجود الذى يهيء لها الابداع والخلق والابتكار ، إذا كان لها نصيب من حسن الذوق وبراعة الإنتاج ..

يشعر القلب فى مثل هذه الفترة أن الحياة تتفجر نوراً وجمالا وتتضوع أريجاً مسكراً ، فيختلج ليلهم الأديب الفنان والشاعر اللهم والكاتب الموهوب أروع الصور الذهنية ويضفى على انتاجهم روعة الصدق وحرارة الإخلاص وسمو العاطفة ، فيحيا فى كل أعمالهم وما يفكرون وينتجون ويبدعون ، فيكون لأدبهم وكتاباتهم أثر فى كل نفس وصدى فى كل روح لأنها نتيجة شعور صادق وإيمان عميق بما يكتبون ويفكرون ...

وفى بعض الأحيان تجدب قلوبنا وينتابها التبلد والخمول وتتيه فى ظلمة قاسية من الجفاف والخواء ترقد فيها العواطف وتشيع الكآبة فى النفس ويرين الحزن على القلب فلا يشعر بالنور وتتلاشى فيه الأضواء وتنعدم الأخيلة ، فيحس أن الحياة مغمورة بالضباب فلا ترى العين ولا ينفذ الفكر ولا يومض الذهن وفى مثل هذا العدم يتوقف القلب عن الإيحاء الصادق ولا يوحى إلا بالتافه من الأمور والضحل من الأفكار .

فى مثل هذه الحالات يجب على الأديب الصادق الذى يكتب بعاطفة وشعور يستمدهما من قلبه أن يريح قلمه إلى حين وإلا بدا عليه الاسفاف ظاهراً والاجترار ملموسا والتكلف واضحاً لأن نبضات قلبه يجب أن تبرز دائماً فى كل عمل من أعماله الأدبية وإنتاجه الذهنى فإذا فقدها خلت كتاباته من عنصرها الأساسى وهو ( روح الكاتب ) .

يقول الأستاذ ( توفيق الحكيم ) فى كتابه ( زهرة العمر ) « إن تربية ملكة العقل وحدها لا تكفى عند رجل الأدب والفن إن لم يصحبها إيحاء القلب وإلهام العاطفة وملكة التذوق ... وهو يشترط اشتراك القلب ووحيه فى كل عمل من الأعمال الذهنية والانتاج الفكرى » .

فالقلب ينبوع العواطف والأحاسيس منه تنبعث أحلى الأنغام وأسطع الأضواء وأعذب الألحان وأعمق الأفكار . وفيه تحيا كل القوى التى تسيطر على حياتنا وتجعلها مشرقة وضيئة حيناً وقاتمة مظلمة حيناً آخر . أما العقل فهو القوة التى تنظم ما يجول فى القلب من تيارات وينبض فيه من عواطف وأحاسيس ، وعمله كعمل الفنان أو المصور الذى يضفى بريشته وألوانه على الصور والألحان ما يزيدها عذوبة وجمالا ويعطيها جاذبية وإيحاء يكسبها الخلود .

* * *

يحسب بعض الناس أن الأدب لا يعدو كونه صناعة من الصناعات لا يحتاج إلى فهمه والنبوغ فيه كبير مشقة وعناء إلا ما يحتاجه صاحب المهنة لإتقان إحدى الصناعات اليدوية والبروز فيها والتفنن فى إظهارها للناس بالمظهر الذى يجعلها أكثر اتقاناً وإغراء للشارين . كما يحسبه بعضهم تجارة تخضع لقاعدة العرض والطلب فيفهمون الأديب الناجح بمقدار ثروته وما تدر عليه كتاباته من مال وثراء فإذا أخفق فى جلب الثروة ولم يتمكن من الربح المادى عدوه فاشلا ونظروا إلى كتاباته نظرة عدم اهتمام كما ينظرون إلى بضاعة من البضاعات كسدت ولم يبق لها شار فى السوق .

وبعضهم يرى الأديب الناجح من كثر إنتاجه وتعددت الصحف التى يكتب فيها والتى تنشر اسمه وتنوه بكتبه وآثاره غاضين النظر عن قيمة هذه الكتب والآثار الأدبية من وجهة الجمال والفن والابداع ، وما فى أفكار صاحبها من ابتذال وفسولة .

وهؤلاء الذين فهموا الأدب والأديب هذا الفهم الخاطىء معذورون لأنهم لم يتوصلوا إلى فهم الحياة أو يتذوقوا ما فى الوجود من أسرار وجمال وعواطف . ولأنهم يكتبون ويفكرون ويحكمون بعقولهم فقط تاركين قلوبهم هملا لا تحيا فى أعمالهم الأدبية وما يصدرونه من أحكام . كالآلات الميكانيكية تعمل وتنتج فى كل وقت وفق خطة مرسومة لا تحيد عنها قيد شعرة .

وبسبب هذا الفهم المغلوط وانتشاره فى الأدب العربى والأدباء العرب نشاهد كثيراً من الذين يكتبون ويؤلفون تبدو آثار الصنعة والتقليد وبرودة الموت فى إنتاجهم لأنهم يكتبون بدون عاطفة وإحساس بهذا الخارق العظيم فى الحياة وهو القلب ولزوم اشتراكه

أو ظهوره فى إنتاجهم وكل أعمالهم . وذلك لأنهم تعلموا الأدب ودرسوه كصنعة من الصناعات ومهنة من المهن لذلك جمد إحساسهم وماتت عواطفهم فجاء أدبهم صورة تنطق بالفقر من الإحساس والتصوير والابتكار .

وإنى أطالع أحياناً ما يكتبه الكاتبون والأدباء ، وخاصة فى الأدب الوجدانى ، فأرى فى آثارهم صدق الإحساس وحرارة التعبير وشبوب العاطفة ، وهذه هى صفات الأدب الصادر فى صدقه وحرارته وشبوبه عن وجدان حساس تهزه العاطفة فينتفض وتمسه الأزمة فيرتمش . وأطالع أحياناً أخرى آثار بعض الأدباء الآخرين فأرى التكلف فيها واضحاً والاجترار ملموساً والصنعة ظاهرة وهذه هى صفات أدب التصنع الذى لا يثير فى النفس إحساساً ولا يحرك عاطفة ولا يعالج عقدة ، وذلك لأنهم يكتبون كتابة آلية لا تدعوهم إليها دواعى الوجدان أو تثيرهم إحدى الأزمات النفسية فتلهب عواطفهم وتحرك قلوبهم .

وإنى امرؤ أقرأ الأدب بقلبى وعاطفتى وأحكم على صدقه بما يثيره فى نفسى من اهتزازات وأحاسيس تجعلنى أشارك كاتبه فى الشعور والإحساس رغماً عنى لأنه صادر عن قلب حساس يتألم أو ينتشى ، ويصور بصدق ما ينتفض فى القلب من اختلاجات وما يجول فى الذهن من أمانى وآراء . أما الأدب الكاذب فهو الذى لا يثير أدنى شعور ولا يحرك خلجة فؤاد لأنه صادر عن عقل جامد صدىء يتصنع الشعور ويتكلف الإحساس .

إن القلب يجب أن يحيا فى كل ما يكتبه الكاتب والأديب وإلا جاء إنتاجه ممسوخاً وخالياً من كل شعور أو إحساس ، لأنه يكتشف بذلك عوالم مليئة بالجمال حافلة بالمتع والمباهج . حتى الألم عنده له لذة غريبة تكسب أدبه جمالا فنياً رائعاً كجمال تماثيل الفواجع الخالدة . وعندها يكون تفكيره وإنتاجه صادقاً ينقل الصور ويسجل الحوادث ويزيد فى ذخيرة الأدب لوناً يكسبه الخـــلود …

لذلك يجب على الأديب الحق الذى يحاول أن يكون فى أدبه خالقاً وفى آرائه مبدعاً وفى تفكيره ناضجاً ، أن تكون هناك صلة وثيقة دائمة بين عقله وقلبه وقلمه وبما يفكر ويكتب ويصور ، لأن جميع الأعمال الأدبية والفنية لا يكتب لها الخلود إلا إذا كانت صادرة من قلب ينبض وعقل ينظم وقلم يكتب ويصور .

أما هؤلاء الذين نراهم ، فى كل يوم ، يسودون الورق بهزيل الأفكار وتنميق الألفاظ وبهرجة العبارات بدون أن يكون لإنتاجهم صدى يبعث فينا الروعة التى نشعر بها أو نحسها عندما نطالع أثراً أدبياً أو نرى عملا فنياً اشترك فيه القلب والعقل . أما هؤلاء فسيظلون على الهامش وستذهب كتاباتهم مع الريح .

(بغداد) **مهدى القزاز**

# من صور الطريق

للأستاذ مهدي السامرائي

هذا الطريق المرصوف بالحجارة والقار كم تطأه من الأقدام وكم تمر عليه من الأجسام وكم تسير فيه من النفوس، كل مهتم بشأنه كل سابح في عالمه وأحلامه وكل لاه بأمره عن أخيه الذي يسير بجنبه ويعيش وإياه في بلد واحد ووطن واحد.

يكاد يكون هذا الطريق كتاباً مفتوحاً تقرأ فيه تاريخ البشرية من أقدم عصورها حتى أرقى ما وصلت إليه من حضارة وتقدم، وفيه يشاهد المتأمل كثيراً من الصور الآدمية تعكس له حياة المجتمع الذي نعيش فيه وما به من فوضى واضطراب وما هو عليه من تناقض وتباين.

في بدء هذا الطريق الذي اسلكه كل يوم صورة من تلك الصور التي رسمتها يد الحياة الجائرة بريشة من شقاء وبألوان من فقر وجوع ومرض؛ صورة لا أبالغ إذا ما قلت رسمها فنان وهو في ثورة جنونية فجاءت فنية رائعة تمثل لنا شقاء البشرية في القرن العشرين.

كان لا يتجاوز العاشرة من عمره كفيف البصر؛ ذهب المرض بكلتي عينيه فأفقده نور الحياة وتركه يتعذب ويحيا في عالم من الظلام الحالك ويتخبط في ديجور من الفاقة والذل؛ ولكنه كان يشعر ويحس ويرى بعقله ما لا يراه كثير ممن أوتوا نعمة النظر؛ أولئك الذين ينعمون في حياتهم، ويسعدون بأحلامهم وآمالهم لاهين عن أمثاله من بني الإنسان ممن ظلمهم نظام اجتماعي فاسد وفوضى اقتصادية ضاربة أطنابها في طول البلاد وعرضها. كان يحس ويشعر لأنه دقيق الإحساس رقيق العاطفة أوتي من الذكاء حظاً وافراً، ومن الفطنة قدراً كبيراً فكأنه أوتي حكمة الشيوخ وهو لم يتجاوز العاشرة من عمره، ومعرفة الحكماء وهو لم يقرأ كتاباً واحداً. إتخذ من قنطرة بالقرب من (دارهم) ملجأ يلجأ إليه، وكان يسميها دارنا مفتخراً ولكنها لم تكن في الحقيقة سوى زريبة حيوانات لا تتعدى مساحتها العشرين متراً تضمه هو وأمه وإخوته الخمسة الصغار يضاف لذلك عدد كبير من الدجاج وحمار كان يربط في ساحة الدار.

عند هذه القنطرة كان يرابط طفلنا من الساعة الثامنة صباحاً حتى الثامنة مساء يؤدي واجبه دون ما كلل أو عناء يؤدي واجبه الذي فرضه عليه أبوه المريض وأمه الجائعة يؤديه بنفس معذبة وروح متألمة لأنه واجب بغيض لهذه النفس الأبية وتلك الروح الحساسة. وطريقته في تأدية هذا الواجب كانت غريبة في بابها وبأسلوب مبتكر عجيب لم أشاهد مثله عند مئات بل آلاف أمثاله من المستجدين أولئك الذين يملأون الشوارع والأزقة ويتفننون في أساليب الشحاذة والاستجداء كان إذا سمع وقع إقدام تمر بجانبه قام متثاقلا من جلسته المؤلمة التي يتمثل فيها ظلم الإنسان لأخيه الانسان قام وهو يردد جملتين بلغة انكليزية ركيكة مؤداهما (أنا فقير) (إعطني درهماً).

كانت هذه طريقته في الاستجداء وطلب المال وكثيراً ما تندر به الصحاب والمارة وأذاقوه من نكاتهم ما يبعث الألم إلى نفسه والعذاب لروحه وكثيراً ما نهره جفاتهم بطريقة تستنزل الدموع من عينيه البيضاوين لأنه يستجدي بلغة الأنكليز لغة الأجانب لغة المستعمرين والسكين يظن أن استجداءه بهذه اللغة يجلب له عطف المارة ويستدر القروش من جيوبهم ولكنه لا يعلم بأن استجداءه بهذه اللغة يثير فيهم كوامن الحقد ويذكرهم بظلم طال أمده وقيود صدأ حديدها. هو لا يدري أن هذه اللغة تذكرهم بالمذكرات التي كتبها السير هنري مكماهون والتي تعهد بها للعرب ما تعهد ولكنه وقومه لم يبروا بوعودهم ونكثوا بعهودهم وصوروا لنا أبشع صورة من صور أطماعهم. هو لا يدري أن أصحاب هذه اللغة هم الذين وقعوا معاهدة سايكس بيكو تلك الوثيقة المشينة وليدة الأطماع والتي رافقها الريبة بل كانت مثالا بارزاً للختل والخداع والغدر. هو لا يدري أن هذه اللغة تذكرهم بوعد بلفور المشئوم ذلك الوعد الجائر الذي عبد الطريق للصهيونية لكي تغزو فلسطين العزيزة، هو لا يدري بكل ذلك بل حتى ولا يدري بأن هناك شعباً على ضفاف النيل يئن من ظلم أصحاب هذه اللغة ويعمل ليل نهار للتخلص من تدخلهم في شؤونه وفرض سيطرتهم عليه.

قلت: تعالى يا صغيري فلي معك حديث قصير. قال: وهل أنا ممن يحذقون الأحاديث يا سيدي ألا أعطيتني قرشاً فأنا فقير؟

قلت: من علمك هذه اللغة الأنكليزية فكأنك تحسنها؟

قال: تعلمتها منهم أنفسهم عند ما كانت جنودهم تحط رحالها

بالقرب من دارنا ليستريحوا قليلا ثم يستقلوا القطار إلى حيث لا أعلم ...

قلت وهل هم أنفسهم قالوا لك بأنك فقير ؟

قال : هم علمونى كلمة فقير ولكنى أعلم بأنى فقير وفقير حقاً ولو لم أكن فقيراً لم طلبت منك ومن غيرك القرش أو القرشين كى أسد بهما رمقى ورمق أخوتى ثم سكت سكوتاً عميقاً وكأنى بأسارير وجهه تصرخ وتصيح فقير ... فقير كلمة كم تحمل حروفها من ويلات وكم تضم تحتها من شقاء وكم يتعذب بها من بشر وهل هو وحده ممن عضهم هذا الوحش بنابه فتله الآلاف بل الملايين من الفقراء يضنيهم الجوع ويؤلمهم العوز وتمرضهم الفاقة والفقر هذا الشبح المرعب هذا الحيوان المفترس ينشب أظفاره فى أجسامهم فيمزقها ويتركها منهوكة القوى ويخلى عقولهم من العلم فيتركها خاوية خالية تعيش فى جهالة القرون الماضية ويسرى فى دمائهم كالميكروب القاتل يميت المئات منهم دونما رحمة أو عطف ولكن « آه من لكن هذه » ولكن هل هناك من يشعر بوجودهم وعذابهم أو يناضل ويكافح باسمهم لأجلهم ؟ هل هناك من تضطرم فى نفسه عواطف النبل الإنسانى ليسعى فى تخفيف الضنك الذى يكتنف حياتهم ؟ هل هناك من يعمل باسم الانسانية لدفع الحيف اللاحق بهم غير طامع فى اسم أو جاه أو مركز أو سلطان ؟ ...

هم ضحايا الطمع والجشع هم قرابين ذوى الكروش المنتفخة والخزائن المتلئة ، هم أكباش الفداء للمحتكرين والمستعمرين الذين يحترمهم العالم باسم القانون .

***

أثار فى نفسى منظر هذا الطفل ثورة كانت مكبوته ونيراناً كانت تتأجج كلما رأيت أمثاله من المساكين ممن أصيبوا بعاهة أقعدتهم عن العمل والكفاح أوسدت فى وجوههم أبواب الرزق فالتجأوا لطريق الاستجداء راضين أو مكرهين .

قلت لنفسى ما ذنب هذا الطفل البائس وأمثاله ما جريرتهم وما الذى جنوه ليكون هذا حظهم من الحياة وأى إثم اقترفوه ليجزوا بمثل هذا الجزاء ، وهذا الأعمى الصغير أى حياة حالكة سيقضيها وأى مستقبل ينتظره بل أى عذاب دائم مستمر سيلاقيه فى هذا المستقبل المظلم ؟ وقد أنستنى تأملاتى هذه ذلك الطفل وما كان يطلب ولكننى تنبهت أخيراً على صوته وهو يردد بتلك اللغة الانكليزية الركيكة ( أنا فقير ) ( اعطنى دراهماً ) فأخرجت من جيبى مبلغاً زهيداً وضعته فى يده ولكنى كنت فى قرارة نفسى متأكداً أن هذا المبلغ الزهيد وأى مبلغ ضئيل آخر يعطيه له أمثالى سيزيد من عذابه وألمه وسوف لا يحل مشكلته هو وأصحابه ما لم يعمل الناس جميعاً والحكومة معهم عملا جديداً لتحسين وضعهم الاجتماعى والاقتصادى ومالم يعمل الشعب كله والحكومة معه على محاربة المستعمر حرباً عواناً لا هوادة فيها أو وهن .

( العراق ) **مهدى السامرائى**

---

# ساعة مع الحاج أمين

للأديب صبحي ابراهيم الصالح

في اليوم العاشر من ذي الحجة سنة ١٣٦٥ (الخامس من نوفبر سنة ١٩٤٦) كنت من فرحي في عيدين: عيد الأضحى المبارك، وعيد مقابلتي لسماحة المفتي الأكبر!

كانت المقابلة في ساعة الأصيل، وكنت أقول بيني وبين نفسي:

« يا ليتني أستطيع أن أجلس إليه وحدي، أو ليت زملائي الطلاب الفلسطينيين الأزهريين — الذين قدمت معهم لزيارة سماحته — يدخلون مُوحَّد موحد، ليتيسر لي أن أنفرد معه فأفضي إليه بكل ما في قلبي، هذا القلب الذي لم ينطو لحظة إلا على حب العروبة والرغبة في الدفاع عن كل شبر من أراضيها، والحماسة في كره خصومها.

* * *

وأذنوا لنا بالمقابلة، نخفق قلبي — ونحن نَجوزُ الحديقة في طريقنا إلى قاعة الاستقبال — فأدركت أني سأقابل عظيما، لأني ما عهدت قلبي يخفق لمقابلة إنسان، مثل ذلك الخفقان.

ولم يكن بين زملائي من هو أصغر مني سناً، فتركتهم يتقدمونني ويسلمون على سماحة المفتي ثم يجلس كل واحد منهم حيث ينتهي به المجلس. حتى إذا جاء دوري انحنيت محاولا لثم اليد الطاهرة، فسحبها بلطف. ونظرت حولي فلم أجد إلا مقعداً خالياً عن يمين مقعد سماحته قد تهيب الجميع الجلوس عليه، فتهيبت مثلهم لولا أن المفتي أشار إليه بنفسه، وقال بصوت يسيل رقة وعذوبة:

— « اجلس هنا ... أهلا وسهلا بكم جميعاً ».

ولا تسل عن سروري بهذه الجلسة المجاورة التي مكنتني من إطالة النظر إلى ذلك الرجل الربعة القامة، المعتدل الهامة، الصبوح الوجه، المتلالىء الجبين، ذي العينين الزرقاوين البراقتين اللتين ما وقع بصري على أصفى منهما، ولا أصرح منهما، ولا أشد تعبيراً منهما، والأنف المستقيم، والشفتين المنفرجتين عن ابتسامة مشرقة، واللحية الكستنائية التي وخطها الشيب فأضفى عليها مهابة على مهابة، ثم زاده في نظري جمالا — وما فيه إلا جميل — تلك العمة على رأسه كأنها تاج — وإنها لأكرم من التيجان — وهذه الجبة تكسو بدنه كأنها لباس الملوك — وإنها لأعز من لباسهم — فتمثل لي كل ما فيه أصدق صورة للرجل العربي الفخور بزيه، المعتز به.

* * *

وكتمت أنفاسي لألتقط الكلمة الأولى التي كنت أرجو أن تطرب لها أذني ذلك اليوم كله — بل عمري كله — وكنت أنتظر أن يجلجل في القاعة صوت جَهْوَرِي رنان، فإذا بي أنصت لصوت خافت كأنه الوسوسة، وحديث هادىء موزون لا تخرج من بين شفتي سماحته كلة من كلاته إلا بعد أن يتأكد أنه لا يعطي ما يريد من معناها إلا هيِّنه، مستعيناً على إيضاح فكرته بحركات من يد محكمة، وإشارات ناعمة: فعلمت أن سماحته يؤثر أن يكون هادىء الحديث، خافت الصوت، قليل الحركات بحكمة الرجل الرشيد، على أن يكون وَحِيَّ الحديث، جهير الصوت، كثير الحركات، بتهور لا يغني، وحماسة لا تفيد.

تساءل سماحته عن كل فرد منا، وعن الكلية التي ينتسب إليها، والسنة التي أصبح فيها، والعلوم التي ندرسها، ثم أحب أن يتعرض لقلة المدارس العربية في فلسطين، وأن يستنهض الهمم إلى المطالبة بجعل المعارف في أيدي العرب فقال:

— « إن قلة مدارسنا العالية من ويلات الاستعمار ولعناته، فما يريد لنا خصومنا أن نحيا أحراراً كما يحيا الناس، وأن نكون متعلمين كما يتعلمون، وأن نكون متسلحين كما يتسلحون.

« كنا في بلادنا فَرِحاناً قليلا ما يصيبنا داء، وأحياء نادراً ما يدهمنا وباء: فإذا اعتللنا عرفنا كيف نتناول بأنفسنا الدواء.. ثم ما أصابنا الداء إلا من جرائم اليهود، ولا دهمنا الوباء إلا من عدوى الانكليز، ولا عافت أنفسنا الدواء إلا لأنهم أرادوا أن

يدفعوه بأيديهم وقد كنا ما نزال لا نقبل من الدواء إلا ما كان مدوناً بأيدينا ؛ لأن مناعتنا أبداً بحِمْيتنا ، ولأن قوتنا فى كل حين بالاستغناء عن الآخرين » .

ولعلك تحسب أن سماحة المفتى الأكبر كان — وهو يلقى هذه الكلمات التى أشعلت صدورنا ناراً — يعمد إلى الخطابة والبيان ، فيرتفع صوته ، ويبدو الانفعال عليه . كلا ... وإنما كان يتحدث هذا الحديث الخطير ، بصوت أنعم من الحرير ، حتى أصبحت أومن بأن الإنسان العظيم يستطيع فى آن أن يكون فى رشاقة الغزال وقوة الأسد الهصور .

ورأيت إلى يدى سماحته فإذا هما كحرير الورد ، وأخذت أطيل إليه النظر من جديد لأرى أين تكمن تلك القوة الهائلة التى جعلته يَلْقى العقبات الكاداء فيذللها ، وتعترضه الصعاب فيقتحمها ، فقاد الثورة الفلسطينية ، وهاجر إلى لبنان ثم إلى العراق ثم إلى إيران ثم إلى ألمانيا ثم إلى فرنسا ثم لجأ إلى مصر بلد الفاروق ... ألا كيف تكمن القوة فى طى الوداعة ، وأنى تختبىء الشدة وراء المسالمة ؟ حقاً إنها قوة الروح ! وما أدراك ما قوة الروح !

***

وكأنما استفزت كلمات الحاج أمين أكبرَ زملائى الفلسطينيين سناً ، فألقى كلمة كان يهتز معها جسده تأثراً ، وتقشعر جلودنا لسماعها حماسةً ، فكان مما قاله :

— « يا سماحة المفتى الأكبر ! إن قلوب المتعصبين اليبيسة ، تريد أن تُبقى أفكارنا حبيسة ! لكن لنا أرواحاً لن يمنعها من الوثوب ، توالى المصائب والخطوب . فسماحتكم رمزنا الذى نلتف حوله ، ونعتصم به ؛ وإنا لنتضرع إلى الله أن يعيدك إلى وطنك مظفراً منصوراً ، لتدخله دخول الفاتحين ، فتجمع الكلمة ، وتضم الشتات ، وتسوى الصفوف ؛ ويومئذ لا تذر على أرض فلسطين من الصهاينة دياراً : فليعيشوا إن شاءوا فى دوية مهلكة أو مدائن عامرة ، وفى مفازة موحشة أو فى ناطحات السحاب ، فلن نسمح لهم بالتوهين والكيد فيما بيننا ونحن ساهرون ، ولا بالتفريق والخداع ونحن أيقاظ مفتحو العيون .

عد إلى موطنك فلسطين — يا سماحة المفتى الأكبر — ولا تخش فى الله لومة اللائمين » .

فقال سماحته على الفور :

— « حاش لله — يا أبنائى — أن أعتبر فلسطين وحدها موطناً لى ، فإن الوطن العربى قطعة واحدة ، وما من بلد ينطق أهله بالضاد إلا وهو موطنى ، وموطن كل عربى .

ألا وإن الدول الكبرى التى تستطيع أن تستغنى — لوارادت بثرواتها وقواها ، واستعداداتها ومواردها — قد أدركت فائدة التعاون ، فانضم بعضها إلى بعض ، وخطب بعضها ود بعض ، وحالف بعضها بعضاً ؛ ألا وأننا أشد منهم حاجة إلى التعاون ، وأقرب منهم سبيلا إلى التفاهم : لأن شعورنا واحد ، وآلامنا واحدة ، وآمالنا واحدة .

وإن العروبة — لتعلق عليكم — يا شبابها الأبرار — أملا كبيراً فى أن تعملوا أنتم فى الحقل الدراسى وفى الحقل الاجتماعى على توحيد الصفوف ، وتكتيل القوى ، حتى لا يمر عربى بفلسطين فيبكى دماً حين يرى الزرعة القراح ليس عليها بناء ولا فيها شجر فيؤكدون له أنها ليست ملك اليهود ، ويرى المستعمرة المنظمة عليها البناء وفيها الشجر فيؤكدون له أنها من صنع اليهود .

تخصصوا جيداً فى شئون دراستكم ، فإن العلم أقوى سلاح فى هذا العالم بعد الإيمان بالعقيدة والوثوق بسمو الفكرة » .

***

ولا حظنا بعض الزائرين يريدون الدخول ، فرأينا أن نقنع بسماع هذه النصائح القيمة ، فقام أكبرنا سناً فقمنا ، ودنا من سماحة المفتى فدنونا ، واستأذن بالانصراف فاستأذن الجميع ، فقام الحاج أمين — من لطفه — يودعنا إلى الباب ، ويصافح كلا منا وهو يدعو لنا بالتوفيق .

لقد خرجت من حضرته — وإن صورته ماثلة فى عينى وفى أعماق قلبى — شاعراً بأنى أريد أن أقبل على خدمة بلادى بفؤاد مخلص إخلاص فؤاده ، وبضمير نقى نقاء ضميره .

( طرابلس الشام ) **صبحى ابراهيم الصالح**

خريج كلية أصول الدين بالأزهر

صوت من الريف المريض :

# وباء الكوليرا

للشيخ محمد رجب البيومى

« كانت الكفر الجديد من قرى الدقهلية الحزينة التى داهمها الوباء فقد تكلت مائة نفس فى أسبوع واحد ، وهى لاتزيد عن ثلاثة آلاف ، وقد شاهدت محنتها القاسية، فكان الصراخ الفاجع يشرد نومى ، وقد كنت أتحدث مع الرجل ثم يجيئنى نعيه بعد ساعة واحدة من حديثه ، وما زلنا ننتظر رحمة السماء »

شب تحت الضلوع يعصف بالجسم     كما يعصف اللظى بالهشيم

ذعر الناس فاستهلت دموع     كانهمار الغيوث تحت الغيوم

وأفاق الشعب الجريح كما استيقظ     جفن على صراخ أليم

زأر الرعب فى القلوب فجاش الحز     ن يغلى بها كغلى الحميم

الصبور الشجاع غير صبور     والحليم الرزين غير حليم

جزعت أنفس وطارت عقول     قد دهاها الردى بخطب جسيم

سلمت أمرها إلى الله لكن     هل يرد القضاء بالتسليم

خطر هب يمحق الناس محقا     كرجوم تهوى وراء رجوم

كلما قد قرأت عنه حديثاً     شب فى أضلعى لهيب الجحيم

قيل لى أنت هالك فتطعم     أى خير يكون فى تطعيمى

أنا أمشى وبين طيات قلبى     خيفة منه رعدة المحموم

ينفث السم كالأفاعى مجداً     ويبيد الجسوم تلو الجسوم

الشديد القوى صريع لديه     والسليم الصحيح غير سليم

جثث ترتمى كساحة حرب     أسفرت عن فناء جيش عظيم

جنت الأرض فهى تفغر فاها     طمعاً فى ابتلاع عظم رميم

أكلت أهلها ولم تبق شيئاً     ما صنيعى فى الآكل المنهوم ؟

طفت بالريف أجتليه صباحا     وهو دنيا لذائقى ونعيمى

كان يبدو لناظرى وسيما     كيف أضحى الغداة غير وسيم

لا الأزاهير ذات عرف شذى     لا النواعير ذات صوت رخيم

لا الغوانى الصباح يخطرن فى السهل ولا الطير بارع الترنيم

إنظر الحقل فالطبيعة فيه     كبنى الإنس أسرفت فى الوجوم

هى والله ذات فكر حصيف     قد هداها فشاركت فى الهموم

النخيل الوفى يخفض عطفيه     كئيباً كبائس محروم

وعلى القطن غبرة سودته     بعد ما لاح ساطعاً كالنجوم

والغراب العجيب يرسل نحوى     نظرات كالفيلسوف الحكيم

خطر هدد الجميع فكل     صارخ من مصيره المحتوم

إن دها منزلا رأيت ذويه     بين فان يمضى وحى سقيم

يهجر الوالد ابنه ثم يعدو     خيفة من أذاه عدو الظليم

وحنان الأم الرءوم توارى     فهى عند المصاب غير رءوم

ترك الزوج زوجه تتلظى     فى جحيم يفوق كل جحيم

فر منها وكان يخشى عليها     قبل هذا الوباء مر النسيم

فادخل البيت لست تبصر فيه     غير أم ثكلى وطفل يتيم

فتح القبر فاطمأنت جنوب     غرقت فى سكونها المستديم

مرض يملأ الخواطر بالوهم     فيالى من خاطرى الموهوم

أنا منه مكبل بقيود     قذفت بى إلى عذاب أليم

حرموا الماء والفواكه ظلما     من مجيرى من ذلك التحريم

قيل لى إن فى المياه سموماً     فكرهت المياه ذات السموم

وكذاك الفواكه الحلوة الطعم     مجال لكل داء وخيم

عجباً أبغض الرحيق المصفى     وأعاف الجنان ذات الكروم

قيل لى لا تسر جوار صديق     واعتزل فى الأنام كل نديم

إحذر العدوى أن تصيبك من     خل وفى أو من عدو خصيم

فاجتنبت الورى وعشت وحيداً     وتوغلت فى ضلالى القديم

ليت شعرى من أصطفيه لنفسى     إن تخوفت من صديقى الحميم

عشت حتى غدوت مثل المعرى     ألزم الدار غارقا فى همومى

يا لحمى تفرى لحوم البزايا     أو ما أتخمت بتلك اللحوم

مهدها الكنج مذ بدت فلماذا     تطمن «النيل» ويحها فى الصميم

نزلت فى الوادى كشمطاء لاحت     لعيون الورى بوجه دميم

وأتتنا مع العدو كما تسعى     الأفاعى مع الظلام البهيم

ليتها أهلكته أبشع هلك     ورمته بكل داء عقيم

هكذا الإنجليز جرثومة الشر ونار مشبوبة اليحموم

رب من للضعيف هاجه الخطب وما يستطيع صد الهجوم

يكظم الغيظ فى الحياة إلى أن     يتلقى الردى بغيظ كظيم

النائحات لا تزال بسمعى     كدوى الرعود ذات الهزيم

والثكالى يسرن خلف الثكالى     ساهمات وقيت شر السهوم

كلما صاحت الديوك توهمت     صداها صراخ عان كليم

إرحم الناس يا إلهى واكشف     كل سوء فأنت خير رحيم

محمد رجب البيومى




# حمـــار آخر . . . !

الترام الجاهد يسير محملا ليس فيه ركن أو ممر أو مدخل أو شبر على السلم إلا ويشغله الراكبون متلاصقين متضاغطين كأنما لم يأتهم نبأ هذا الوباء الذى خوف الناس بعضهم من بعض ...

وأنا فى مقعدى أسأل نفسى متعجباً كيف ينزل من يريد أن ينزل فضلا عن أن يركب من يريد أن يركب ! ودقت باب الدرجة الأولى يد وحاولت فتحه ولكنه لم يفتح لأن شخصاً كان يسند ظهره إليه ، وهو لا يستطيع أن يتحرك من موضعه إلا أن يتحرك من يقف أمامه ، ولن يستطيع هذا أن يفعل إلا أن يمكنه من يليه ... واشتد طرق الباب فتضاغط الواقفون ، وانفتح الباب ودخل هذه الحجرة المكتظة فتاتان عجبت وعجب الراكبون كيف خلصتا من الزحام حتى دخلتا الحجرة ، وما أحسبهما إلا استحالتا هواء فنفذتا من بين الأرجل أو من فوق الرؤوس حتى بلغتا حيث وقفتا بين الواقفين .

ووقف الترام فنزل اثنان من الواقفين وقد شقا طريقهما فى جهد من جهة السائق ولم يركب أحد ، ثم وقف ونزل ثلاثة ولم يركب أحد ، وبقيت الفتاتان فاستندت إحداهما إلى باب والثانية إلى الآخر .

وكانت إحداهما على جانب عظيم من الملاحة والسحر تحدث أثرها فى النفوس بنظراتها وبما يبدو من براعة ذوقها فى اختيار ألوانها وأشياء زينتها ؛ وكانت الثانية كأنما تصحبها لتزيد جمالها أولتنبه عليه فقد كانت بحيث أن انتباهها إلى جنسها مما يجعل أحياناً نعته باللطف نوعا من السخرية ...

وصوبت الحسناء نظرة إلى شاب كان فى سمت بصرها فكأنما نفذت نظرتها إلى قلبه وكأنما أراد أن يبرهن لها على أنه جدير منها بهذه النظرة ، فنهض واقفاً ودعا الفتاة إلى الجلوس فى موضعه وإنه ليتظرف ويتأنق ويستلين فى إشارته وحركته ويلطف فى نبرته وعبارته حتى لقد أوشك أن يكون ما ينعت به جنسه من الخشونة ضرباً من التعسف ...

ونظرت الفتاة وقد استقرت فى مقعدها إلى صاحبتها مزهوة دون أن تشكر هذا المتظرف المتلطف بكلمة ، وضحكت وقالت عبارة لا هى عربية ولا فرنسية ولا إنجليزية ؛ وضحكت الثانية وأظهرها ضحكها برهاناً آخر على مبلغ ما يكون بين جنسها وبين اللطف من بعد الشقة ... واحمر وجه الفتى حتى كاد أن يقطر منه الدم ، وأشار بيده إلى التى سحرته فتخلى لها عن مكانه إشارة من نسى شيئاً على المقعد فلم تكد تقف حتى انفتل فعاد إلى مكانه وجلس وهو يقول لها فى غيظ ابحثى عن حمار غيرى فلست حماراً !

واصفر وجه الفتاة بقدر ما احمر وجه الفتى ولم تكن تدرى أنه يعرف الطليانية ؛ فقد نظر الفتى الظريف الناعم إلى من حوله وهو يدق يداً بيد ويقول إنها تقول لصاحبتها انتظرى ربما يقف حمار آخر فاجلسى ؛ فيكون جزائى على إنسانيتى أن أكون عندها حماراً وأن يكون هذا مبلغ شكرها لى !

وكان حقاً أن نغضب جميعاً وأن يحاول كل منا أن ينفصل من حماريته بكل ما فى طاقته ، فقال كهل من الجالسين يخاطب الفتى : « ليس هذا جزاءك على إنسانيتك وإنما هو جزاؤك على مصريتك فإنا فى الواقع لسنا كرماء لضيوفنا بل نحن عبيد لهم . أفهم أن تنهض لتجلس مريضة أو عجوزا أو أماً بين ذراعيها طفلها أما أن تقف لهذه ... أرأيت أجنبيا ينهض لمصرية قط ؟ متى نفهم هؤلاء الأجانب أننا سادة فى بلادنا وإذا كنا لا نستطيع الآن أن نفهمهم ذلك بأخذ ما فى أيديهم مما بنوه فى غفلتنا فلا أقل من أن يعلموا أننا صحونا . لا أقل من أن يفهموا أننا لم نعد بدحميرا » .

ونظر هذا الثائر الكهل إلى الفتاة السيئة وقال لها فى مثل شراسة النمر « إنزلى من هنا روحى فى داهية » ... وتنمرت الملعونة كأنما تذكرت أيام الامتيازات ورأيتها بجوار الباب كالقطة وجدت نفسها فى مأزق فموت على أن تمعن بأسنانها وتخمش بمخالبها ...

ولكن النمر الغاضب جذبها من ذراعها ، ونادى السائق فوقف ، وصرخت القطة صرخة جمعت علينا الركاب من العربة الأخرى وأقسم الرجل إن لم تنزل هى وصاحبتها على أرجلهما فسوف يلقى بهما من النافذة ...

# الأدب والفن فى أسبوع

**الثقافة والسياسة فى السودان :**

اتصل حديث الثقافة المصرية فى السودان بحديث السياسة هناك ، وأخذ هذا الحديث المتصل مكانه فى الصدارة من المسائل العامة التى تهتم بها الدولة والرأى العام فى هذه الأيام ، فلم تكتف حكومة السودان الإنجليزية بمنع البعثة الثقافية المصرية ومراقب التعليم المصرى من الدخول إلى السودان ، بل أرادت إبعاد مدرس مصرى فى مدرسة الملك فاروق بالخرطوم لأنه أرسل برقية إلى رئيس الوزراء تضمنت كلمة «الجهاد» ! وقالت الأنباء الأخيرة إن المسألة سويت بعد أن تعهد المدرس بعدم الاشتغال بالسياسة .

ولن يستطيع هذا المدرس ولا أى مدرس مصرى آخر فى السودان أن يتجنب الاشتغال بالسياسة . . السياسة التى تقلق بال الإنجليز فى السودان ، وهى العمل على وحدة الوادى وإبراز الروابط بين شماله وجنوبه وإحكامها ، ولا يوثق هذا الربط مثل الثقافة العربية الإسلامية التى يشعر سكان الوادى جميعاً بأنهم يرضعونها من ثدى واحد .

والأساتذة المصريون الذين يذهبون إلى السودان هم رسل هـذه الثقافة ، ولذلك يجزع منهم المحتلون ويترقبون الفرص للتخلص منهم .

ولكن ألا يحسن تجنب السياسة التى يستطاع إمسا كها بأطراف الأصابع ، أو بعبارة أخرى الأمور التى تؤول بأنها سياسة والتى تفتح منها الأبواب إلى المؤاخذة والتعنت ؟ وفى المهمة الثقافية مجال لخدمة الوطن ، حتى إذا أراد المتعنت بعد ذلك شيئاً كان تعنته أظهر ، مع كسبنا بالعمل المجدى فى الحقل المخصب ، ومع كسب ثقة المخدوعين لإصلاحهم وهدايتهم للسير فى ركب الوادى الموحد .

**الغزل السياسى :**

نشرت « الأهرام » أبياتاً للأستاذ محمد الأسمر تحت عنوان « الغزل السامى — إليها » قال فيها :

ما للمليحة غضبى وهى ظالمة    لا تعرف العدل فى فعل ولا كلم
أبعد ما سلبتنى كل ما ملكت    يدى أكون لديها موضع التهم

وقال :

قل للمليحة جاوزت المدى فكفى    أين الوعود، وما غلظت من قسم
كونى كما شئت لا أشكو إلى أحد    الله يحكم بين اللؤم والكرم

ولا شك أن هذه المليحة ليست فتاة ممن يتغزل فى مثلها الشعراء ، لأن الغزل هنا سياسى ، وما أظن الشاعر يحب فتاة سياسية ولو كانت خيالية كجاسوسة « المصور » الحسناء .. على أنه يصفها باللؤم ، مما لا يليق بالمحبوب . وما أظن تلك المليحة الدرجة الرابعة التى أخلفته فى التنسيق ، فليس الوصف بمنطبق عليها ولا هى من السياسة فى شىء .

فماذا عسى أن تكون تلك المليحة ؟

أتكون انجلترا ؟ لا بد أنها هى ، فهى الغضبى الظالمة التى لا تعرف العدل فى قول ولا عمل ، وهى التى سلبتنا ما نملك وأكلت لحمنا وشربت دمنا ثم اتهمتنا بالتجنى عليها ، وهى التى أقسمت على الود أيام شدتها ، ثم تنكرت لمن كان يألفها فى الوطن الخشن ، فبلغت غاية اللؤم .

ولكن كيف يقول إنها مليحة ، وكيف يضعها موضع الحبيب الذى يتغزل فيه ؟ وما هى — من وجهة نظرنا على الأقل —

---

وتساءل الناس وتألموا مما علموا وأجبرت الفتاتان على النزول وفى نظرنا أن كلا منهما تنتمى إلى اللطف ظلما ، هذه بوقاحتها ، وتلك بقبحها .

وخجل الشاب الذى استرد إنسانيته حتى ما يستطيع أن ينظر طويلا فى وجه ذلك النمر الغاضب ...

وضحك أحد الجالسين يريد أن يذهب عنا الغضب ، وقال أحب أن أعرف منذا يرضى بعد هذا فى الترام أو فى السيارة أو فى المتجر أو فى المصنع أو فى السينما أو فى الشارع أن يكون الـ (حمار الآخر) ؟ وضحكنا وضحك حتى النمر المائج .

الخفيف

إلا عجوز شوهاء شمطاء . ولم يكن بيننا وبينها حب لأنها معتدية علينا منذ خمس وستين سنة ولا تزال فى اعتدائها .

والشاعر — بطبيعة الحال — يريد التهكم ، ولكنه بعد عن هذا الغرض بما أسرف فيه من عبارات الحب .

**العربية تزحف :**

أذاعت وكالة الأنباء العربية من ( كراتشى ) أن جلالة الملك فاروق يبدى عناية بالغة بنشاط جمعية أدبية ثقافية جديدة أنشئت أخيراً فى ( الباكستان ) ترمى إلى جعل العالم الإسلامى على مر الأيام وحدة ثقافية سياسية دينية .

وأذيع أن هذه الجماعة بدأت عملها فى هذا السبيل بالعمل على نشر اللغة العربية ، وقد أنشأت لذلك كلية فى كراتشى أقبل عليها كثير من الكبار فى جلتهم محافظ المدينة .

وكانت الصحف قد رددت أن البابا فى رومة اخذ يتعلم اللغة العربية .

وقرأت فى مجلة « الأديب » أنه قد تأسس فى الأرجنتين « معهد التبادل الثقافى الأرجنتينى العربى » للعمل على تعزيز التبادل بين الثقافتين العربية والأرجنتينية ، وقد أنشأ هذا المعهد مكتبة حافلة بالمؤلفات الثقافية النافعة وأعد برنامجاً لإلقاء المحاضرات فى شتى المواضيع ذات الصلة المتينة بهاتين الثقافتين ، ولترجمة الكتب العربية إلى اللغة الأرجنتينية كى يطلع الشعب الأرجنتينى على ألوان الثقافة العربية والأدب العربى فى شتى عصوره .

ومما يثير العجب والأسف أنه بينما تزحف اللغة العربية هكذا فى آسيا وأوربا وأمريكا إذ تقرأ فى أخبارنا المحلية أن إحدى المصالح الحكومية « بدأت » فى تطبيق قانون اللغة العربية فنوت على ألا تقبل ما يكتب إليها بغير اللغة العربية إلا إذا كان مصحوباً بترجمة عربية .

ولا نزال جارين على مقتضيات « كرم الضيافة » التى منها التيسير على الأجانب بالمخاطبة بلغاتهم ، وإراحتهم بذلك عن عناء تعلم اللغة العربية ... ومن المناظر المخزية منظر المصرى يتحدث إلى ( الخواجة ) الذى يعرف العربية بلغة أجنبية ! والمصريون هم — وحدهم — الذين يشجعون على عدم تعلم لغتهم ...

وتحيتى إلى أسلافنا فى العصور العربية ، الذين كان يفد إليهم الفارسى والرومى وغيرهما ، فيصبح ، بعد قليل ، من شعراء العربية وكتابها ...

**تمثال نهضة مصر :**

وجهت مجلة « الهلال » إلى طائفة من الأعلام والفنانين هذا السؤال : هل نهدم تمثال نهضة مصر ؟ وقالت إنه « سؤال خطير الغرض منه حفز الهمم لمسايرة التطور الذى انتقلت إليه نهضتنا الوطنية ، فإن التمثال الحالى مع قيمته وبراعة صانعه الفنان الخالد محمود مختار لم يعد يصلح — فى رأى البعض — للتعبير عن هذه النهضة إلا فى مرحلتها الأولى » .

وقد أجاب محمد على علوبة باشا بأنه لا يرى هذا التمثال منذ صنع يمثل الفكرة الوطنية وليس صالحاً ليكون رمزاً لنهضة مصر الوطنية وثورتها على الاحتلال وقيود الذل والاستعباد ، وهو لا يمثل إلا فلاحة ساكنة لا حركة فيها وأسداً متكاسلا لا يكاد ينهض ! ورأى أن يقوم تمثال آخر فى أحد ميادين القاهرة الكبرى يمثل مصرياً وسودانياً قد تكاتفا فى النهوض والوثب وهما يحملان مشعلا أو سيفاً وقد تقدما إلى الأمام فى عزم وقوة هاتفين بالحرية والجلاء والاستقلال .

وقال أحمد راسم بك : « لو أن تمثال نهضة مصر ، كان قد استنفد أغراضه أو أصبح غير ذى موضوع كما يقال لكان من الواجب أن نبقى عليه لقيمته الفنية الخالصة ، باعتباره إحدى التحف التى ابتدعتها عبقرية مثالنا الخالد مختار ، على أن نقيم لتخليد فكرتنا الجديدة ما نشاء من التماثيل غيره » .

وأجاب آخرون بما لا يخرج فى مجموعه عن وجوب الإبقاء على التمثال الحالى ، على أن يقام تمثال آخر يعبر عن النهضة القومية المتوثبة .

والتمثال الحالى الماثل فى ميدان المحطة بالقاهرة يرمز إلى « سكون » مصر ممثلة فى قروية ، إلى مجدها القديم ممثلا فى أبى الهول !

فإذا كانت المسألة هى اعتماد مصر على مجدها القديم فإن هذا التمثال يصلح رمزاً لها فى كل العصور وفى جلتها عهود الضعف

والاستكانة ، أما النهوض فهو شيء آخر قد يصاحب المجد القديم وقد لا يصاحبه .

والملاحظ أن أغلب الذين دافعوا عن « تمثال نهضة مصر » عللوا دفاعهم بأنه صنيعة مثالنا الخالد مختار ، ولم يبينوا لنا مدى تعبيره عن نهضة مصر .

وأنا أخالف الجميع فأرى إزالة التمثـــال الحالي من مكانه والاحتفاظ به في أحد المتاحف باعتباره نتاج مثالنا الخالد ( إن كان لا بد من هذا الاعتبار ) وذلك لأنه لا يصح أبداً أن يكون مظهر نهضتنا الاعتماد على المجد القديم ، بل ينبغي ألا يذكر هذا المجد إذا كان كل الغرض منه الوقوف إلى جانبه والركون إليه .

أما التمثال الجديد فليكن كما اقترح علوبة باشا ، أو ليكن على أي هيئة أخرى حسبما يرى الفنانون ، على أن يمثل مصر المتوثبة التي أصرت على أن تعيش حرة كريمة ، وعلى أن يحقق الغرض الأساسي منه وهو أن يبعث في المصري الذي يمر به في غدوه ورواحه شعور العزة بالقومية المصرية .

**الفنانون الشرقيون :**

جاء في أخبار « آخر ســاعة » ما يلي : « ترفض وزارة الداخلية الآن الترخيص لأي فنان شرقي بالإقامة في مصر إلا إذا تعهد كتابة بألا يتعدى الغناء الذي اشتهر به في بلاده .

وهذا نتيجة لشكوى بعض الفنانين والفنانات المصريين » .

وهذا أمر عجيب لعدة أسباب منها :

١ — أنه يخالف اتجاه الوحدة العربية وما تقتضيه من تعاون وتواد .

٢ — الفن المصري يغمر البلاد العربية ، وهي ترحب به ، ولم تمنع إحداها فناناً مصرياً من الاشتغال بها ، تعدى الذي اشتهر به في بلاده أم لم يتعد .

٣ — الحيلولة دون تفاعل عناصر الفن العربيــة المختلفة وما ينشأ عن هذا التفاعل من الرقي والتقارب .

٤ — السبب أعجب العجب ، وهو شـكوى الفنانين والفنانات المصريين من المنافسة ، لأن هذه الشكوى غير لائقة ولم يكن يصح أن تسمع .

٥ — لو فرضنا أن الفنان الشرقي الذي تعهد بألا يتعدى الغناء الذي اشتهر به في بلاده — « تأقلم » وتأثرت نفســه بالإيحاءات المصرية فاستجاب لها وغنى غناء مصرياً — فهل يقبض عليه متهما بهذه الجريمة ويطرد من مصر جزاء وفاقا .. ؟

**المسرح أداة ثقافة :**

كانت منظمة التعاون الثقافي لهيئة الأمم المتحدة قد عقدت في شهر يوليو الماضي بباريس مؤتمراً لخبراء المسرح . وقد تلقت الجهات المصرية المختصة التوصيات التي قررها هذا المؤتمر ، ويؤخذ منها أنه تقرر اعتبار المسرح جزءاً من الفن كالأدب والموسيقى وسـائر الفنون الجميلة ، أي أنه أداة ثقافية لا وسيلة للتسلية والترفيه وحسب .

كذلك تقرر إنشاء معهد مسرحي عالمي ، وتأليف جمعية دولية من المسرحيين النظريين الفنيين والمسرحيين العاملين ، على أن تكون مهمة هاتين المؤسستين النهوض بالمسرح باعتباره أداة ثقافية رفيعة ، مع كفالة أسباب التعاون بين رجال المسرح في العالم ، وأن يكون إعداد الرواية المسرحية على أسس إنسانية ، والمحافظة على هذا الفن العالمي القديم من طغيان السينما عليه ، والعمل على وقف حركة الخروج من ميدانه إلى ميدان السينما .

وفن المسرح جدير بالجهود العالمية وتعاونها على النهوض به ، والواقع أنه ليس فناً من الفنون فحسب ، بل هو مجمع الفنون ، ففيه الأدب ممثلا في القصة ، ومن أدواته الموسيقى والغناء وباقي الفنون الجميلة ، وهو بحكم أنه فن أداة ثقافة ، وهذه هي الحقيقة التي ننشدها في مصر ويعيينا نشدانها ، فالفن عندنا يتخذ أكثر ما يتخذ أداة لهو وتسلية ، وتسميته فناً تسمية ادعائية ، لأن العمل الفني لا يستوي إلا على موضوع ، ولابد أن يكون له هدف ، حتى الفرق الاستعراضية وما يمثل فيها من ( اسكتشات ) وما يلقى فيها من الفكاهات و ( المنلوجات ) يجب أن يكون لهذا كله هدف يرمى إليه إلى جانب التسلية والترفيه .

وقد تفشت طريقة التسلية الخالية من الموضوع ، وانتقلت من المواطن الموبوءة إلى ميدان الكتابة ، حتى لنرى بعض الأدباء يكتبون لمجرد التسلية !

وبعد فالمأمول من الجهات الفنية في مصر أن تشارك في ذلك المجهود العالمي ، لتساير النهضة المسرحية العالمية ، ولتجني بلادنا ثمراتها .

« العباسي »

# تعقيبات

## أم كلثوم ونهج البردة :

نهج البردة للمغفور له أحمد شوقى بك قصيدة معروفة مشهورة قالها فى التوسل ومدح النبى صلوات الله عليه عند ما قصد الخديوى عباس الثانى إلى الحج عام ١٩٠٩ م ، وعارض بها قصيدة البردة — أو البرءة — للشاعر شرف الدين محمد بن سعيد الأبوصيرى ، وقصيدة البردة هذه أشهر من كل تعريف ، فما رزقت قصيدة فى الأدب العربى ما رزقت من الذيوع فى ألسنة الناس ، حتى إنها فى القرى لتعتبر نشيد الوداع الذى يردده « الفقهاء » فى أذن الميت وهو فى طريقه إلى القبر ..

أما قصيدة نهج البردة فلها قصة ، فقد نظمها شوقى فى مناسبة حج الخديوى كما قلنا ؛ وكان يرجو أن تكون هذه المناسبة إلى جانب الاتجاه الدينى فى القصيدة مما يضمن لها الذيوع بين الناس كما ذاعت البردة ، وطبع يومئذ شرح لتلك القصيدة قيل إنه من عمل المغفور له الشيخ سليم البشرى — وهو فى مقامه الدينى ما هو — ليضفى عليها القداسة ، ولكن أهل الخبرة يؤكدون أن ذلك الشرح كان من عمل نجله المرحوم الشيخ عبد العزيز البشرى ، وإن كان الشيخ عبد العزيز ظل ينفى هذه التهمة إلى آخر أيامه . عليه رحمة الله ..

ومهما يكن من شىء فإن نهج البردة لم تبلغ مبلغ البردة فى نظمها ولا فى ذيوعها ..

وفى هذه الأيام اختارت أم كلثوم ثلاثين بيتاً من نهج البردة وغنتها كما سمع الناس ، أقول غنتها والصحيح أن أقول إنها ألقتها ، أو أنشدتها ، لأن أم كلثوم لم توفق فى غناء القصيدة كما هو شرط الفن وشرط الغناء ، وذلك يرجع إلى عدة أسباب :

أولا : لأنهم اختاروا للمطربة ثلاثين بيتا من القصيدة ، ومهما يكن الطرب من قوة الحنجرة وبراعة الصناعة وحسن التصرف فإنه لا يستطيع أن ينهض بهذا القدار فى الغناء دفعة واحدة وخاصة فى الشعر القوى الرصين .

ثانياً : لأنهم لم يراعوا فى الاختيار درجة صوت أم كلثوم فى مقاماته الفنية ، ومن المعروف أن كل شعر لا يصلح لكل لحن ، وأن كل لحن لا يلائم كل صوت ..

ثالثاً : جعلوا الغناء محدوداً بمدة من الزمن ، ولهذا عمد الملحن إلى إخراجها دفعة واحدة ، ولم يتمكن من خلق فترات موسيقية لاستراحة المطربة إلا مرة واحدة .

وعلى أى حال فإن اللحن لم يكن موفقاً ، لأنه جرى على نغمة واحدة رتيبة ، وهى النغمة التى آثرها الموسيقار رياض السنباطى فى تلحين قصيدة « سلوا قلبى » وقصيدة « السودان » ولهذا شعر الناس بأن أم كلثوم لم تأت بجديد فى قصيدة نهج البردة ، وقد سمعوها وكأنهم كانوا يسمعون شيئاً معاداً فى آذانهم وأكثر من ذلك فإن اللحن كان يتخلى عن المعنى فى كثير من الأحيان .

## شيخنا الجارم :

وشيخنا على الجارم بك لم يكن موفقاً فى ذلك الشرح الذى قدم به الأبيات التى غنتها أم كلثوم إلى السامعين ، فقد جرى فى ذلك على ما ألف من الطريقة المدرسية وهى طريقة عقيمة لا تجدى فى فهم الشعر وإظهار جماله ، فقد عمد إلى شرح الكلمات اللغوية على ماهو وارد فى القاموس ، ثم أخذ يورد المعنى على مقتضى هذا التفسير ، فهو مثلا يشرح قول شوقى :

لما رنا حدثتنى النفس قائلة  يا ويح جنبك بالسهم المصيب رمى

فيقول : رنا إليه : أطال النظر - الخ .. كلا . ثم كلا . فإن إطالة النظر هنا تهدم قوة البيت وتقلل من جماله ..

وعجيب من شيخنا الجارم أن يذكر معارضة البارودى للأبوصيرى ، ويذكر مطلع تلك المعارضة ، ولكنه لم يذكر بيتاً واحداً للأبوصيرى ، وهو الأصل والأساس الذى قام عليه كل هذا البنيان .

ويقول شوقى :

يارب هبت شعوب من منيتها  واستيقظت أمم من رقدة العدم
رأى قضاؤك فينا رأى حكمته  أكرم بوجهك من قاض ومنتقم

وكان شوقى رحمه الله يشير بكلمة « منتقم » إلى معنى مقصود

فقد قال قصيدته فى أعقاب حادثة دنشواى التى أدمت قلوب المصريين ، وكانت مصر فى ذلك الوقت تسام الضيم والهوان من أساليب الاستعمار ، وكان الخديوى فى ضيق من هذا ما بعده ضيق ، فتوسل شوقى إلى الله فى « الانتقام » من هؤلاء الظالمين المستبدين ، وجمجم بذلك ولم يستطع الإبانة نظراً لصلته الرسمية بومذاك بالقصر ، فجاء الجارم بك بعد طول تلك السنين وجمجم كذلك فى شرح هذا المعنى .

لقد كنت أعتقد أن غناء أم كلثوم لهذه القطعة من نهج البردة إنما هو لإثارة عواطف الشعب بهذا المعنى لمناسبة ما هو قائم اليوم بيننا وبين الانجليز وكنت أعتقد أن الجارم سيعمد إلى الكشف عن هذه الحقيقة ، وإلى تذكير الشعب بتلك الواقعة التى ألمع إليها الشاعر ، ولكنه لم يحوم على ذلك أبداً ، ولست أدرى إذن لأية مناسبة كان اختيار هذه القطعة وتلحينها وغنائها وشرحها ذلك الشرح الجارى .

**البصائر للتوحيدى :**

أبو حيان التوحيدى شيخ من شيوخ الأدب العربى ، فهو تلميذ الجاحظ غير مدافع ، من بحره اغترف ، وفى طريقه درج ، ولكنه فى آخر حياته ضاق بالناس وبالدنيا لطول ما لقى من عنت الناس وقسوة الحياة ، فجمع كل مؤلفاته وقدمها طعمة للنار ، حتى لا تكون وشيجة بينه وبين الناس بعد مماته ، وحتى يريح عظامه فى القبر من جهل العيابين كما قال ..

ولكن المنقبون من العلماء عثروا على مخطوطات لبعض مؤلفات هذا الأديب الثائر فعمدوا إلى تحقيقها ونشرها ، فمن قبل أخرجت له مطبعة بولاق كتاب « الصداقة والصديق » كما طبعت له رسالة صغيرة فى « العلوم » ثم نشر الأستاذ حسن السندوبى له كتاب « المقابسات » وهو من أمتع مؤلفاته ، ومنذ أعوام أخرج الأستاذ أحمد أمين بك والأستاذ الشاعر أحمد الزين كتاب « الإمتاع والمؤانسة » مصححاً محققاً ، وقد حدثنى الأستاذ أحمد الزين منذ سنوات أنه أعد العدة مع الأستاذ أحمد أمين لنشر كتاب « بصائر القدماء وسرائر الحكماء » للتوحيدى ، وأنهما جمعا له كل ما يمكن من الأصول ، وبذلا لتحقيقه وتصحيحه غاية الجهد حتى يخرج على أتم ما يكون ..

أقول هذا بمناسبة ما جاء أخيراً فى بريد سورية من أن الأستاذ إبراهيم الكيلانى قد قدم هذا الكتاب للطبع بعد أن حققه وعلق عليه ، فلعل الأستاذ الكيلانى — ما دام لم يمض فى الطبع — يرجع إلى الأستاذ أحمد أمين فيما حقق من أصول هذا الكتاب وجمع من مصادره ومخطوطاته ولا بأس أن يكون الجهد مشتركا حتى يخرج الكتاب كاملا فى التصحيح والتحقيق ، ولا معنى لأن يطبع الكتاب طبعة فى الشام وأخرى فى مصر وتكون كل منهما تكمل الأخرى ..

**اللغة العربية والجنسية الإسلامية :**

من أنباء الباكستان ، الدولة الإسلامية الجديدة فى الهند ، أن الرجال المسئولين والهيئات الثقافية هناك قد أخذت تهتم بتعليم اللغة العربية وتوسيع الدائرة فى دراستها نظراً لما يقتضيه وضع الباكستان الجديد من توطيد الصلات بالعالم الإسلامى .

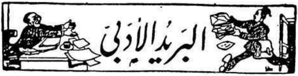
واللغة العربية لاشك دعامة قوية فى بناء الجنسية الإسلامية فما ربط المسلمين ولا أمسك بوحدتهم وبقوميتهم على طول السنين وعلى رغم الحوادث والكوارث مثل اللغة العربية التى توحدت فى كتاب الله عز وجل كما توحدت فى مظاهر العبادة الإسلامية وأدائها ، وليس هناك ما يبعث الروعة ويهز الشاعر مثل نداء المسلمين جميعاً وهم يدخلون الصلاة هاتفين : الله أكبر .

والمسلمون فى الهند أهل غيرة على دينهم ، وهم معروفون من قديم بمواقفهم المشهورة فى جانب الوحدة الإسلامية ولا أظن أن هناك من يجهل جهاد المغفور له محمد على وشقيقه شوكت على ، ولا أظن أن هناك من يجهل جهاد الهنود المسلمين للابقاء على الخلافة الإسلامية حتى تكون تاجاً للوحدة ودعامة من دعائمها .

فهذا الاتجاه الذى تتجه إليه الباكستان اليوم ، وهى فى أول عهدها بالوضع الجديد ، مما يدعو إلى الغبطة والاطمئنان بين المسلمين ، وستكون له أطيب النتائج فى توطيد صلتها بالعالم الإسلامى ، والواجب على الجامعة العربية أن تشجع فيها هذا الاتجاه ، وواجب على مصر خاصة أن تساعدها فى هذا ، وأن تمدها بالمدرسين للغة العربية ، وإنه لأقل ما يجب على مصر فى هذا السبيل

حيا الله « الباكستان » فى عهدها الجديد ووقاها شر الدسائس الاستعمارية ، وصانها مما يحيطها من الزلازل والقلاقل .

« الجاحظ »




## الشيخ محمد عبده والطير الأبابيل :

أقول ( تعليقاً على المقال القيم « القرآن والنظريات العلمية » للأستاذ الكبير العقاد ) : إن الأستاذ المرحوم الشيخ محمد عبده لم يقل بأن الطير الأبابيل هي جراثيم الأمراض التي اكتشفت على يد «باستور» وما هذا إلا رأي شاعت نسبته إلى الشيخ محمد عبده منذ أن هاجمه جماعة من العلماء وعدوا له زلات من جملتها هذا الرأي الذي نسبوه إليه في تفسير سورة الفيل وأخذوا عليه فيه أنه قد ابتدع في التفسير آراء خرج بها على معاني العربية وأساليبها التي نزل بها القرآن ويفهمه بها العرب الخ . ثم عزا الكثيرون هذا الرأي في تفسير الطير الأبابيل إلى الشيخ محمد عبده دون رجوع إلى كلام الشيخ نفسه رحمه الله في تفسيره لجزء عم الذي هو مرجع القضية .

والواقع أنه رحمه الله بعد أن نقل بعض الروايات التفسيرية غير الثابتة في بيان طريقة انهزام أصحاب الفيل بالطير الأبابيل ، وقول بعضهم إن الطير كانت تلقي الحجارة الصغيرة كالعدس فتقع الواحدة على رأس الرجل من جيش أبرهة فتخرج من دبره قال الشيخ محمد عبده رحمه الله ما خلاصته أن الشيء المروي في التاريخ هو أن جيش أبرهة تفشى فيه مرض الجدري وقضى على معظمه وبدده وتلك الروايات المغربة غير ثابتة ، والقرآن في غنى عن تفسيره بها ، فالمنهج السديد أن يجمع بين القدر الذي حكاه القرآن من الخوارق وبين الروايات التاريخية ، بعد أن تبين أن مرض الجدري وغيره من الأمراض السارية ينشأ عن عوامل حية هي الجراثيم المسماة بالميكروبات .

وإذا علمنا أيضاً أن الطير في اللغة كل ما يطير بجناحيه كبيراً كان أو صغيراً كالذباب والزنابير فإن المناسب في تفسير السورة أن يقال : إن الله تعالى أرسل على جيش أبرهة نوعاً من الطيور تحمل حجارة صغيرة ملوثة بجراثيم حمى الجدري من مكان موبوء بها هدى الله هذه الطير إليه فكانت تلقيها على الجيش فتفشى فيه الجدري من هذه الحجارة الموبوءة بجراثيم المرض وبذلك يجمع بين ما حكاه القرآن العظيم وبين الواقع التاريخي ، ويكتفي لبيان قدرة الله تعالى ونقمته مع التعليل بسبب طبيعي معقول .

فالشيخ رحمه الله لم يفسر الطير الأبابيل بالجراثيم ، وإنما أفاد أن الحجارة التي حملتها الطير كانت ملوثة بالجراثيم ، أما الطير فطير بالمعنى اللغوي غير أنها لا يعرف نوعها .

وبهذه المناسبة أذكر أن من جملة ما يشاع الآن من آراء عن الشيخ محمد عبده رحمه الله أنه ينكر وجود الجن الذين جاء القرآن معلناً وجودهم ، أو أنه يؤولهم بالجراثيم وغير ذلك ، وكثير من الطاعنين يأخذون هذا من الألسنة ثم يناقشون به مع حملهم إياه على الشيخ رحمه الله على أنه رأي صريح له في تفسير سورة الناس كما ينسب إليه اليوم لغرض ما أنه يرى ويقول بأن قصص الأمم الغابرة التي حكاها القرآن إنما هي تمثيل فني مخترع للعظة ولا تدل على واقع تاريخي ! !

وقد اشتملتني وبعض هؤلاء قديماً مناقشة حول الشيخ رحمه الله ولما قلت لهم إنه لا يفسر الطير الأبابيل بالجراثيم المرضية ولا ينكر وجود الجن عدوا هذا الزعم مني مخالفاً للحس الظاهر أو دفاعاً غير مشروع حتى أتيتهم بتفسير جزء عم الذي يستندون إليه فقرؤوا بأنفسهم تفسير الشيخ رحمه الله لسورتي الفيل والناس فبهتوا وقد كانوا زعموا أنهم إنما يتكلمون عن اطلاع على كلامه ، فلم يسعهم بعد ذلك إلا أن يقولوا إنهم لم يفهموا كلامه ، وإنما وهموا من نظرة فيه سريعة غير منعمة .

على أنه لا ينبغي أن يتوهم من كلامي أنني أعد الأستاذ الكبير العقاد من هذه الفئة ، فهو في نظري — كما هو في الواقع — ذلك المحقق الجلي الذي لا يشق له غبار ولا نزال ننتفع وستنتفع الأجيال من قلمه ، ولكن لعله اعتمد في قضية الطير الأبابيل على رواية أحد نسب ذلك الرأي إلى الشيخ محمد عبده أخذاً مما أشيع عنه واشتهر .

**مصطفى أحمد الزرقا**

## الفرق بين سنة وعام :

جاء في مقال الأستاذ علي الطنطاوي [ من شوارد الشواهد ] المنشور في عدد الرسالة ٧٤٦ الصادر في ٢٠ أكتوبر سنة ١٩٤٧ — السنة الخامسة عشرة ، صفحة ١١٤٤ ما أعيد نقله

هنا بالحرف الواحد وهو ( يخلط الناس فى الاستعمال بين العام والسنة ، وهما مترادفتان ولكن ليس فى اللغة كلمتان بمعنى واحد — انظر فى كتاب الصاحبى وكتاب الفروق اللغوية — ولابد من اختصاص كل لفظة بشيء لا تدل عليه الأخرى . فالسنة فى الأصل للشدة والقحط والعام لليسر والرخاء — اقرأ آيات سورة يوسف — والسنة عند العرب مرادفة الشدة والبلاء تقول أصيبوا بالسنين وأصابتهم السنة ومن تتبع كلام العرب وجد ذلك مستفيضاً وقد نبه عليه شيخنا المغربى فى الرسالة من أمد بعيد ). انتهى كلام الأستاذ الطنطاوى ومن تتبع الكتب يجد

١ — إن السنة لأى يوم عددته إلى مثله فقد يدخل فيه نصف الشتاء ونصف الصيف . وأما العام فلا يكون إلا صيفاً وشتاء — ذيل الفصيح ص ٤

٢ — وقد نقل محمد عبد الجواد ذلك فى الصفحة ٢١ من كتابه البحاثة اللغوية .

٣ — الفرق بين العام والسنة أن العام كالسنة لكن كثيراً ما نستعمل السنة فى الحول الذى يكون فيه الشدة والجدب. ولهذا يعبر عن الجدب بالسنة ، والعام لما فيه الرخاء والخصب . وقيل سمى السنة عاماً لعوم الشمس فى جميع بروجها والعوم السباحة . ويدل على معنى العوم قوله تعالى وكل فى فلك يسبحون. ص ١٦١ فروق حقى .

٤ — العام أربعة فصول من السنة كاملة متوالية . يبدأ من أول أحدها ويدوم إلى مثله من القابل . وأما السنة فتبدأ من أى يوم اتفق إلى مثله من القابل فربما بدأت من بعض الفصول لا من أوله . وعلى هذا فالعام أخص من السنة فكل عام سنة وليس كل سنة عاماً . مجلة الضياء لليازجى ٧ ص ٣٥٣

٥ — وبعبارة أخرى أن العام هو السنة كاملة تبدأ من أول فصل من فصولها . فإن لم تبدأ من أحد الفصول فلا تسمى عاماً بل سنة وحولا كتاب مغالط الكتاب للأب جرجى جنن البولسى . هذا ما يحضرنى الآن من فوارق بين السنة والعام.

عمان — **أحمد الظاهر**

القاضى فى محكمة الاستئناف

**الى الأستاذ ( خلف الله ) :**

فى مقال لك فى « الرسالة » طلبت إلى القراء وكل ذى رأى الاشتراك فى موضوع الجدال حول رسالتك « الفن القصصى فى القرآن » ولما كانت الرسالة — أعنى رسالتك — محجوزة فى يد الحاجزين للنظر ، فقد صار من اللازم الحتم — لإشراك القراء معك — جوابك على هذين السؤالين ، وهما :

١ — هل تعتبر القصة القرآنية « فناً » من الفنون كالقصص الفنية فى هذا الزمان ؟

٢ — هل تنكر « واقعية » القصص فى القرآن ، وأنها — كما قال الأولون — من أساطير الأولين ؟

وبجوابك على السؤالين يصح النقاش ، وينحسم — من بعد — الجدال ، ولا جدال .

( الزيتون ) **عدنان أسعد**

**انجلترا فى مرآة حافظ :**

تحية ، فقد اطلعت فى العدد رقم ٧٤٧ من مجلتكم الغراء على مقال « انجلترا فى مرآة حافظ » وفيه يشيد الأستاذ الكاتب بوطنية حافظ الصادقة ، وعدائه للمحتل البريطانى وعميد البريطانيين فى مصر بما أورده من شعر حافظ ، ولست أدرى إذا ما كان الأستاذ البيومى قد اطلع على ما كتبه الأستاذ محمود محمد شاكر بعنوان : « أوطان » بمجلة الكتاب وفيه يقطع بأن حافظاً إنما كان يمالئ البريطانيين وعميدهم وأنه لم يكن وطنياً صادقاً فى شعره .

وإذن فلا مناص من أن يبين لنا كل من الأستاذين وهما من كتاب « الرسالة » وجهة نظرهما الصادقة فى هذا الموضوع .

ونحن فى الانتظار ، والسلام عليكم ورحمة الله .

**أحمد محمد حلمى**

**إلى رحمة الله :**

نعى إلى الرسالة ، وهى على المطبعة الشاعر العالم الراوية البليغ الشيخ أحمد الزين .

ولئن عقدت روعة المفاجأة اللسان ، وحبست لوعة الرزية القلم ، وضاق المجال اليوم عن قيام الرسالة بواجب الوفاء للصديق ، والتأريخ للاديب ، فلن تضيق صفحاتها غداً إن شاء الله .

رحم الله الفقيد ، وعوض على الأدب بما خسر بفقده ، وعلى البيان ما خسر بمماته .




# طريق الدوفر

بقلم الأديب عبد الكريم محمود

[ « طريق الدوفر » كوميدية مسرحية ، ليست بذات الحوادث المعقدة ، بل هي مسرحية بسيطة غاية البساطة تعالج مشكلة من أهم المشكلات ... مشكلة الزواج بأسلوب تهكمي ساخر . وقد لاقت نجاحاً عظيماً عندما مثلت على أحد مسارح لندن ... وهو لعمري نجاح تستحقه المسرحية ويستحقه كاتبها . أما مؤلفها فكاتب انكليزي يدعى ( ميلن Milne ) . وهو ما يزال حياً يرزق . ]

المستر [ لاتيمر ] كهل أعزب له هواية غريبة حقاً. أنه يسعى إلى أن يحل مشاكل الزواج التي تعترض الشبان .

وعلى باب بيته على طريق الدوفر الذي سكنه على هـذا الأساس ... أساس صيد العازمين على الزواج قبل فرارهم — عن هذه الطريق — إلى فرنسا حيث الزواج وشهر العسل ... على باب بيته يقف اثنان ، شاب وشابه ... ليونارد وآن .

إن مجيئهما ليس عن طريق الصدفة بحال من الأحوال بل هو أمر محكم التدبير ؛ فقد رشى المستر ( لاتيمر ) سائق سيارتهما طالباً منه تعطيل السيارة أو التظاهر بأنها عطلت أمام منزله .

إن ليونارد يطرق الباب الآن . وهاهو الخادم ( دومينيك ) يفتحه له . فيقول ليونارد « أهذا فندق ؟ » فيجيبه دومينيك بالإيجاب .

يدخل الاثنان . وبعد أن يستقرا نستطيع بـكل سهولة أن نفهم من حديثهما أن (ليونارد) شخص ترك زوجته ( يوستاسيا ) ليهرب مع الفتاة ( آن ) التي تركت هي بدورها أباها .

يستقبلهما المستر لاتيمر — صاحب المنزل أو الفندق كما ظناه — بعد ذلك ، فيظهر هذا لنا بمظهر من يفهم السبب الذي قاما من أجله برحلتهما . ثم يبدأ يسأل آن عما تنتويه وتريد فعله ملقياً بعد الأسئلة درساً في فائدة الأناة والتفكير في تصرف المرأة قبل أن تقدم على عمل يعد من أخطر الأعمال بالنسبة إليها بل هو — أي هذا العمل — حياتها كلها وغرضها الأسمى الذي خلقت من أجله.

هنـا نفهم عقلية ليونارد جيداً ... أننا نراه يفقد أعصابه بسرعة فلا يستطيع أن يحكمها ويتملكها ، ونراه يحاول أن يسحب فتاته آن ليخرجا من هذه الدار التي كرهها . لـكن المستر ( لاتيمر ) يكشـف أوراقه عندما يبلغ الأمر هذا الحد ، فيصارحهما بأن أمر مجيئهما كان نتيجة لخطة دبرها هو فاحكم تدبيرها ثم تراه يطلب منهما بعد ذلك أن يمكثا أسـبوعاً ... أسـبوعاً واحداً فقط يختبر فيه أحدهما الآخر ويمتحنه لـكيلا يكون اتصالهما بعد ذلك عرضة للانفصال .

تذهب آن بعد هذا الاقتراح إلى الغرفة التي أعدت لها لتنام ويبقى المستر لاتيمر مع ليونارد ليكون الأخير مادة جيدة لتهكم الأول وسخريته بعد أن عرف هذا جيداً أخلاق ليونارد . ولـكن ليونارد يضطرب وينزعج كعادته فيترك لاتيمر متجهاً إلى غرفة نومه .



وما يهل صباح اليوم التالي حتى يصاب ليونارد بالبرد ... وتبدأ آن بعد هذا تشعر بأن الحياة مع فتاها ليوناردلن تكون دائماً بساطاً مفروشاً بالورود ؛ كما أنها تعلم في الوقت نفسه من حديث يجرى بين المستر لا تيمر والخادم دومينيك أمامها أنها وليوناردليسا الشخصين الوحيدين في هذا المنزل المتيد .

والواقع أن هناك شخصين آخرين غير ليونارد وآن على أهبة أن ينتهيا من ( أسبوع التجربة ) كما يسميه المستر ( لاتيمر ) .

ولـكن الذي أدهش ليونارد هو أن ذينك الشخصين لم يكونا إلا ( يوستاسيا ) زوجته وعاشقها ( نيكولاس )

إن منزل المسترلاتيمر يؤدى رسالته بالنسبة لهذين الشخصين الأخيرين ؛ لأن الأسبوع ما يكاد يمضى حتى يبرم نيكولاس بيوستاسيا أشـد البرم ، ذلك لأنها ذات عادة قبيحة مستحكمة فيها ، تثير النفرة والابتعاد عنها : إن تلك العادة مزيج من الالحاح والعناية الـكثيرة غـير المستحبة بمن يعيش معها تحت سقف واحد . إن يوستاسيا خير مثال لامرأة تفيض منهـا

(غريزة الأمومة) فيضاً .

يبرم نيكولاس بها إذن ولما ينتهى بعد أسبوع التجربة ، ولكنه لا يستطيع أن يتركها وحدها ليرحل فذلك مما تمنعه قوانين منزل المستر لانيمر الخالد .

هذ إلى أن يوستاسيا ونيكولاس يملان فى هذه الاثناء بوجود الشخصين الآخرين فى المنزل .

ولهذا فإن يوستاسيا ما تكاد تعلم بأن زوجها قد أصيب بالزكام حتى تهرع إليه — بعد ما لقيت من أعراض عاشقها — لترضى عادتها غير المستحبة تلك ... وهى إلى هذا تنسى كل شيء عن نيكولاس خلال انفارها فى تحضير الدواء لزوجها .

أما نيكولاس فيبدأ بعد هذا يعجب بـ ( آن ) التى شعرت بخيبة أمل بعد ما رأت من انصراف يوستاسيا إلى العناية بليونارد . ولهذا تظن نيكولاس أنها فى بداية ميل جديد نحوه . إلا أن أمله يخيب هو الآخر عند ما يعلم أن آن لم تمل إليه إلا لرغبتها فى استدانة نقود تكفيها للعود إلى منزلها ... وإلى أبيها ذلك الذى تركته هاربة .

هنا يصبح نيكولاس فى حالة غضب شديد فيصمم على الهرب من هاتين المرأتين اللتين آذته وازعجته أولاهما وخيبت أمله ثانيتهما فيتشاور مع ليونارد الذى تمدى المرحلة النهائية لمرضه الخطير ... الزكام !!! وهنا نراهما وكل منهما يبث الآخر أحزانه وآلامه . وفيما هما على هذه الحال إذ تخطر لكليهما فكرة ... فكرة الهرب . فيصمم الأثنان على الهرب إلى فرنسا لقضاء عطلة تزيحهما من عناء المرأتين وخصوصاً ليونارد هذا الذى أرهقته زوجته بعنايتها الكثيرة ومحاولتها التسرية عنه بقراءة كتب صعبة الأسلوب جافة البحث ككتاب ( جيبون ) عن انهيار الأمبراطورية الرومانية .

ولكن عقبة واحدة تقف أمامها ... عقبة بغيضة ... ذلك أن ليونارد متأكد كل التأكد من أن يوستاسيا — مالم تجد شخصاً آخر غيره ترضى عن طريقة غريزتها — ستحاول أن تتبعه أينما سار .

هاهما يحاولان نتيجة لعزمهما على الهرب اقناع المستر لانيمر بأن يدعى أنه مريض لتنصرف يوستاسيا إليه تمنى بأمره ، لكنه يرفض . وهاهما يتحولان عنه إلى الخادم دومينيك فيرفض هو الآخر . غير أن طيبة قلب المستر لانيمر تدفعه — بعد أن رفض — إلى قبول اقتراحهما لو لا أن الخادم دومينيك يخبره بأن الخادم الآخر جوزيف ... ذلك البطل الملاكم ... مريض

***

ستجد يوستاسيا إذن من ترضى غريزتها عن طريق العناية به .

والفرصة — إذن — سنحت . يتسلل ليونارد ونيكولاس بحذر . محاولين الابتعاد ليقضيا فى فرنسا عطلة جميلة .

***

من بقى فى الدار بعدهما ؟ المستر لانيمر وخدمه ... وآن ويوستاسيا . وهنا نرى المستر لانيمير ذلك الرجل الذى كرس حياته لسعادة الغير وحل مشاكل الزواج . وذلك الرجل الذى ظل بطل القصة حتى النهاية ... نراه يصارح آن بحبه ويقع ضحية لخطة دبرها هو ، لكن الفتاة الرزينة العاقلة — والتى إن عد المستر لانيمر بطل القصة فلا بد أن نقول أنها البطلة — تبين له أنها ما زالت تعامله وتحبه ... ليس ذلك الحب الجامح المنيف بل تعامله وتحبه كما لو كان أباها .

وهاهى ذى بعد هذا تأخذ حقيبتها لتقول للمستر لانيمر ... وداعاً .

إن المستر لانيمر الآن أمام المرآة يتبين ما عملته يد السنين فى وجهه وتقاطيعه ، فيرى أنه قدر لنفسه عمراً أقل من الواقع والحقيقة .

يدخل الخادم دومينيك ليرى سيده فى هذه الحال فيبتسم الاثنان ... وفى لحظة نراهما صديقين كأحسن ما يكون الأصدقاء لارجلين أحدهما سيد والآخر مسود .

طرق على الباب . شخصان جديدان يقفان أمام المنزل . المستر لانيمر ودومينيك يزاولان المهنة مرة أخرى .

( بغداد — دار المعلمين العالية ) عبد الكريم محمود